كلمة العدد :

..في الذكرى الثانيّة والأربعين لأحداث ساقيّة سيدي يوسف

إن كلّ شيء يتبدّد إلاّ دم الأحرار لا يتعدّد ، ذلك حين يتقاطع شريان الدّم مع شريان الحبر فتخلد المتون المشرقة تؤرّخ تحت الشّمس سطورا خضراء أو متوهّجة...

إنّ الذّاكرة هيّ وعاء الوعي الجمعي ..ولا معنى لأيّ وقفة دون أرض صلبة تلتاط بها أقدامنا..والذّاكرة هيّ عتبة seuil التّصوّر وخزّان الوعي واللاّوعي ..إنّها الحمم المستكينة للحظة الإرتطام بالوعي التّاريخي والحضاري لكي ينبجس دفقها للسّطح..

وبعد : فإنّه من تباعيض الذاكرة الوطنيّة الوطنيّة تتداعى وتفيض مهجتنا النضاليّة الحارّة ليوم مشهود على جبهة حركة تحرّرنا الوطني ..تلك هيّ الذكرى الثّانية والأربعون لحوادث ساقيّة سيدي يوسف / الرّمز ..التّي تختزل عمق تلاحم الأرض والدّم المقدّس في مشهد التّصدي البطولي والإستشهادي لعنجهيّة الإستعمار .

لقد كان التجسيد الأنقى للإلتقاء بين أبناء المغرب العربي بين أشقّاء القوميّة الواحدة التونسيّين والجزائريّين يوم السبت 8 فيفري 1958..في تلك الثّلمة الدّامية المضيئة بدم الشهداء أغار جيش الإستعمار الفرنساوي على قرية السّاقية الآمنة في حمى الوطن منتهكا كلّ المواثيق وأعراف الحرب ..وغطى مشهد السوق انحشد بالأهالي بغمامة من وابل القنابل ورعب النّار المتشظّية من مقاتلاته ورشّاشاته تحصد أجساد الأبرياء الذّين سقط منهم عشرات الشهداء من الشّيوخ

والنّســا ، وأطفال المدارس وثوّار حرب التّحرير في المنطقة ..فكان الخطب جللا وكان الوجه الأفل موشّحا بلعنة التّاريخ ..

ولئن تضرّرت السّاقيـة الشـهيـدة حينئذ من آثار ذلك الإجتيّاح فقد تلاحمت أيدي الأحرارمن طلائع جيشنا الوطني الباسل وشباب العالم المحبّ للسّلام لإعادة بنائـها ..فكانت أن تشـكّلت السّاقية في إهابـها الجديد رمز التّلازم والتّواشج المتين بين الأشقّاء في تونس الخضراء والجـزائر بلد المليون شهيد..

.. ومن حرث القلم يجيء زرع الإتحاف . باعتـبـارها مكوّنا من الرّاهن وأمينة على الذّاكرة.. وعلى صراط الدّرب المضيء لهذه الذكرى الفيحاء تيمّم قوافل الإتحاف متونهاشطر الجزائر، ومغربنا العربي في عمقه الكبير مشرّعة صحائفها لكلّ المبدعين في هذا الإمتداد المهيب

.. من أقصاه إلى أدناه ..تتناصّ الكتابة المغاربيّة عندنا .وتهفو النّصوص أمشاجا إلى رحابنا الإتحافيّة . وتتجاوب القراءات والإستقراءات لدينا .. ذلك لأنّ النّبض واحد .. والحلم واحد . وحتما . فالمصير واحد ..

.. فما أجمل هذا اللّقاء والإلتقاء الّذي تؤثّثه في البدء والختام كلمات اللّسـان المبين والخطاب الأمين الّذي يؤلّف أفـراح الرّوح وأفـراح الأرض وانتفاضات الحبر الجليل .. وما أعبق نفحات هذه الذكرى عند البيت الأمين . تونس . تتضوّع منها ريح الحقّ على الخريطة المغاربيّة الواحدة الموحّدة .. فطوبى لشهداء السّاقية.. وطوبى للبانين .. للباقين الأفذاذ في تونس العهد الجديد وفي مدّ رؤيا أبناء المغرب الكبير.. وطوبى لأمناء القلم يحفّزون الذّاكرة والجغرافيا والهمم لمزيد التّقارب والإلتحام نحو غد بهيّ الطّلعة مشرق الآفاق..

التحرير

المرأة في الإصلاحيّة التّونسيّة الحديثة المعاصرة

-2-

بقلم : محمد صفر

إنّ رسالة ابن أبي الضّياف هذه دفاعيّة بالأساس ، إذ كان يردّ فيها على شبهات مزاعم أحد «أعيان الفرنسيس» محاولا إبعاد تلك الصّورة السلبيّة الّتي يحملها عن المرأة المسلمة في ذهنه . وقد استدلّ بشواهد قرآنيّة وسنيّة ومن أقوال السّلف وأعمالهم . وبالرّغم من هذه الشّواهد النّقليّة ،فانّه قد جعل الواقع كمرجعيّة أساسيّة في دفاعه ، فهو يدافع عن العادات الّتي دأب عليها النّاس وإن إنحازت عن روح الإسلام مثل حرمانها من التّعليم والإنتصار لتعدّد الزّوجات والتمسّك بالحجاب إلى درجة ستر الوجه وتزويج الفتاة دون سنّ البلوغ وإعتبار الزّوجة مملوكة بموجب المهر . وهكذا نعتبره يندرج ضمن التيّار التّقليدي والمحافظ في شأن المرأة .

أمّا الطّاهر الحدّاد فانّ موقفه يدرجه ضمن التيّار اللّيبرالي المؤمن بوجوب تغيير حال المرأة ومنزلتها في المجتمع الإسلامي الحديث وذلك بنزع الحجاب والسّماح لها بالإختلاط بالرّجل في مواقع العمل والأماكن العامّة ، وبتعليمها تعليما لا الأساسي فحسب بل العالي كذلك ، مع تأهيلها لا للقيام بواجباتها المنزليّة فقط ، وإنّما للمساهمة بدور أساسي في المجتمع. فضلا عن دعوته إلى تمكين المرأة من حقّ إختيار الزّوج وحقّ الطّلاق مع منع تعدّد الزّوجات بل قد سبق غيره إلى المطالبة بفرض الكشف الطبّي قبل الزّواج مع ملاحظته أنّ الإسلام أباح التّنظيم العالي ورخّص في إستعمال الوسائل الوقائيّة من الحمل .(ص 59) (وأحمد خالد ، أضواء من البيئة...ص 212) .

إلاّ أنّ الإضافة النوعيّة للحدّاد هي نظرته التّشريعيّة حيث يرى أنّ الإسلام دين الواقع ويتطوّره يتطوّر وهو سرّ خلوده وهي نظرة مقاصديّة للدّين، ومعناه أنّ ما

شرَعه القرآن والسنَة من تعاليم وما أتى به من مكاسب لفائدة المسلمين. عامَة والمرأة خصوصا لم يقف عند حدود موت الرَسول بل التدرَج في التَشريع يبقى مستمرَ إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليهاوعلى المجتهدين والفقهاء أن يطوّروا قراءاتهم المقاصديَة للنَصوص وأن لا يقفوا عند القراءة الحرفيَة الجامدة الّتي تجمّد النصّ وتجمّد المصالح وتعرقل التطوّر وهو ما حدا بالحدّاد إلى النقمة على الفقهاء المقلّدين حيث يقول (ألا تعسا لعلمائنا وتعسا لنا معهم ما دمنا راضين بما رضوه لنا من الموت والإنتحار)(ص 74) . ثمّ يقول (إنّ عامَة فقهاء الإسلام من سائر القرون إلاّ ما شذّ يجنحون إلى العمل بأقوال من تقدّمهم في العصر ولو بمئات السّنين، ويحكمون بأحكامهم مهما تباينت أحوال المجتمعات الإسلاميَة باختلاف العصور. وهم يميلون في أخذ الأحكام إلى تفهّم ألفاظ النّصوص وما تحمل من معنى أكثر بكثير ممّا يميلون إلى معرفة أوجه انطباق تلك النّصوص على حاجات العصر وما تقتضيه مصلحة المجتمع الحاضر الّذي يعيشون فيه.(115)

كما نشير إلى أنّ إهتمام الحدّاد بقضيَة المرأة كان مرتبطا أيّما ارتباط باهتمامه بقضيَة التّنمية الشّاملة، وما تحرير المرأة وترقيتها إلاّ لبنة في سبيل تحريرالوطن وترقيته .

2 ـ المرأة التونسيّة في الإصلاحيّة السياسيَة المعاصرة :

1 ـ قبل الإستقلال : الموقف التّكتيكي والاستراتيجي : كما أنّ الجدل والنّقاش قد تلوّن أيضا بلون سياسي خاصّة منذ أن اعتلت آمرأة تونسيَة مثقّفة تدعى حبيبة المنشاري وهي سافرة منبر جمعيّة الترقّي (Essor) بالعاصمة عشيّة يوم 9 جانفي من سنة 1929 لتلقى مسامرة في جمع غفير من الرّجال ومن الأوانس والعقيلات التّونسيّات ، وبسطت فيها حالة المرأة التونسيّة المنحطّة ودافعت عن بنات جنسها وندّدت بالحجاب ، وحثّت التّونسيين على منح المسلمة حقوقها ونبذ العوائد البالية الصادّة عن التقدّم .(2)

وعلى إثر فراغ هذه المرأة الجريئة من إلقاء محاضرتها ، صعد المحامي الشابّ الحبيب بورقيبة النّاطق وقتئذ بلسان الشّباب اليقظ والفطن في الحزب الدّستوري القديم، ليلقى محاضرة تعقيبيّة على ما ذهبت إليه السيّدة المنشاري ذلك أنّه انتصر للحجاب ولكنّه كما يظهر من نصّ المحاضرة كان انتصارا ظرفيّا اقتضته

مصلحة الوطن إذ يعتبر أنّ الحجاب هو عنوان الهويّة العربيّة الاسلاميّة للشّعب التّونسي ورآه سلاحا ينقذ الشّعب من مؤامرة الإدماج والابتلاع والإذابة في بوتقة الدّولة المستعبدة. (3)

وهذا الموقف المحافظ في مسألة الحجاب عند بورقيبة، اعتبره موقفا ظرفيّا وتكتيكا إذ كان يتوقّع فيه يوما يرفع الحجاب ويمزّق ، وهكذا تنقذ الشّخصيّة التّونسيّة من مخالب الاستعمار وتتحرّر ، حيث يقول :" لا تنسوا أنّ الحجاب دخل منذ قرون في تقاليدنا وأصبح جزءا لا يتجزّأ من ذاتيّتنا ومظهرا يميّزها عن ذاتيّات أخرى فكلّ ضربة تسدّد إليه تغيّر أخلاقنا وتتسبّب في تذبذب شخصيّتنا. فهل من المصلحة إذافي الظّرف الحالي من حياة تونس التّعجيل بازالة تقاليدنا سواء كانت حسنة أو سيّئة وكلّ الأشياء الّتي تبدو تافهة ولكن مجموعها يؤلّف ذاتيّتنا بدون مراعاة المراحل الانتقاليّة الضّروريّة ؟ إنّي أجيب طبعا بالنّفي نظرا للوضع السّياسي في البلاد حيث انتصبت الحماية وأخذت تتوسّع وتمتدّ جذورها وتحاول محو الذاتيّة التّونسيّة وإدماجها في الذّاتيّة الفرنسيّة بعد تجريدها من كلّ دعامة من دعائمها. إذ هذا الظّرف يفرض على التّونسيين التشبّث بكلّ مظاهر ذاتيّتهم ولو كان ذلك في اللّباس .وليست المحافظة على الكيان موقوفة طبعا على رفض التقدّم والظّهور في مظهر الإنسان البدائي ، إذ لابدّ من التطوّر وإلاّ كان المآل الاندثار ، وسيحدث التطوّر ولكن بلا كسر ولاقطيعة بطريقة تحفظ في دوام متجدّد وحدة ذاتنا التّاريخيّة الّتي تستطيع ضمائرنا إدراكها في كلّ حين...بيد أنّ الوقت لم يحن لرفع الحجاب. تحين تنقذ الشّخصيّة التّونسيّة حينذاك تحين ساعة تطوّرها بما يلزم وإصلاح فسادها ،ويكون من اليسير تمزيق الحجاب "(4) .

2 ـ منذ الإستقلال : الوفاء بالوعد :

....وهكذا أنجز حرّ ما وعد ، فما أن أشرقت أنوار حريّة البلادسارع الزّعيم بورقيبة ـ وقد صار ماسكا بمقاليد الحكم والقيادة إلى تحرير المرأة التّونسيّة المستقلّة من بعض القيود البالية محقّقا لها كرامتها الّتي فقدت طوال قرون وذلك ببعث مجلّة الأحوال الشّخصيّة الرّائدة في العالم العربي والإسلامي في 13 أوت 1956 ، وفي الآن نفسه انتصار لنصير المرأة الأوّل الطّاهر الحدّاد الّذي أنشد ـ وهو مغبون ـ

لو ما أعلّل بانتظـــار غـد *** لقلت خاب الّذي أرجوه في بلدي (ص9)

"إنّ العائلة هي أساس المجتمع تفقد كلّ هنا، وانسجام إذا لم تكن مرتكزة على رجل وامرأة تسود بينهما المودّة والاحترام (...) وإنّنا باصلاحنا الجديد لا نريد رفع مستوى المرأة فحسب وإنّما نريد كذلك رفع مستوى الأسرة التّونسيّة .

هذه ، من أوّل الكلمات الّتي صدع بها رئيس الجمهوريّة المستقلّة السيّد الحبيب بورقيبة في بيان ألقاه يوم 10 أوت 1956 بمناسبة الإعلان عن صدور مجلّة الأحوال الشخصيّة الّتي أريد لها أن تكون مكسبا للمرأة أوّلا وللأسرة ثانيا وللتّونسيين كافة ، ومن خلالها تخليد لروح نصير المرأة الطّاهر الحدّاد . وقد كان قرار إصدار المجلّة موقفا جريئا إلى أبعد الحدود ، خاصّة وأنّ سلطان العادات والتّقاليد البالية ما يزال - آنذاك - باسطا نفوذه على عقول معظم التّونسيين . وهكذا فقد راهن محرّر المرأة المستقلّة عليها وكسب الرّهان .

كما جاء في بيان ألقاه سيادته بمرناق يوم 14 أوت 1972 في اليوم الموالي لذكرى عيد المرأة :"أمّا الآن فانّنا قبل أن نمكّن المرأة من حقوقها نعرض عليها واجباتها ونبيّنها لها، أنّ لها مثل الرّجل حقوقا وعليها واجبات. وهكذا كنت متّجها من أوّل يوم إلى توعية التّونسيين ذكورا وإناثا وتلقينهم الشّعور بالمسؤوليّة إزاء بلادهم. فكان لزاما أن يقوم عمل كبير لكي تنجح مجلّة الأحوال الشّخصيّة وتؤتي ثمارها".(5)

3ـ منذ التّغيير : الوعد بمواصلة نفس الدّرب ولا تراجع فيه :

ثمّ جاء الرّئيس بن علي مؤكّدا عزمه على مواصلة درب الرّئيس بورقيبة في السموّ بمنزلة المرأة التّونسيّة ، لتسمو هي بدورها بكيانها وببلادها إلى أعلى درجات التطوّر والمناعة ، ويؤكّد سيادته في إحدى بياناته" أنّ مجلّة الأحوال الشخصيّة مكسب حضاري نحن أوفياء له وملتزمون به ونفاخر به فلا تراجع في ما حقّقته تونس لفائدة المرأة والأسرة ولا تفريط فيه "(6) .

كما يعلن في ذكرى عيد المرأة من سنة 1993 عن افتخاره واعتزازه بمفاخر بلاده وشعبه ، ومنها تكاتف كلّ القوى الوطنيّة من أجل النّهوض بالمرأة وتدعيم مكاسبها حيث يقول"إنّ من مفاخر بلادنا أنّ شعبنا كان من أوائل الشّعوب الّتي

تخلّصت من المركّبات ونبذت التّمييز على أساس الجنس وفتحت المجال فسيحا لعمل المرأة ونضالها إلى جانب الرّجل ورعت حقوقها ومكاسبها، وإنّ من المفاخر كذلك أنّ دواعي نهضة المرأة التّونسيّة وتحرّرها لم تكن نسويّة ولا وليدة شعور بالنّقص والحيف بقدر ما كانت دوافع انسانيّة ومدنيّة ووطنيّة سامية "(7).

وبمناسبة الذكرى الثّانية والأربعين للاستقلال وعيد الشّباب ـ الموافق ليوم 20 مارس 1998 ـ ألقى سيادته بيانا في حشد جماهيري من الشّباب أشار فيه ـ في معرض حديثه عن الحركة النّشيطة الّتي تشهدها بلادنا هذه الأيّام بفضل تظافر جهود كلّ الأطراف الاجتماعيّة والمنظّمات الوطنيّة والأحزاب السّياسيّة ، من أجل إنجاز برنامج التّأهيل الشّامل ـ أشار إلى " أنّ هذه الحركيّة ما كانت لتكتمل لولا إسهام المرأة فيها بفضل ما تحقّق لها من مكاسب منذ التحوّل فتحت لها آفاق المشاركة في كلّ المجالات وجسّمت الشّراكة (7) والمساواة بين الرّجل والمرأة في المجتمع".

بل إنّ عناية سيادة الرّئيس الموصولة بالمرأة التّونسيّة لم تقتصر على بنات تونس داخل الوطن ، بل شملتهنّ خارج حدودها باعتبارها أحسن سفيرات للوطن في بلدان إقامتهنّ ، وليسهمن من موقعهنّ في تحقيق طموحات البلاد في الرقيّ والتقدّم ، فكنّ في مقدّمة قوى الفعل والإنجاز . وقد وعد سيادته بمواصلة العمل على تقويةالجسورالّتي تربطهنّ بجذورهنّ وأرضهنّ حتّى يكنّ مثلما كنّ دائما من طليعة من يرفع راية البلاد عالية بكلّ نخوة واعتزاز .(8)

وإنّه مثلما راهنت دولةالاستقلال على المرأة ومساهمتها في تدعيم أسس الدّولة الفتيّة المستقلّة ، والتّنمية الشّاملة .. فكسبت الرّهان.. كذلك فعلت دولة التّغيير ، إذا عزمت على مواصلة المراهنة على قدراتهافي إنجاح مخطّطات التّنمية وبرامج التّغيير والإصلاح والتّأهيل الشّامل لولوج القرن الواحد والعشرين بكلّ ثقة واعتزاز، فكانت "المرأة التّونسيّة ـ بحقّ ـ دعامة ثابت للتّغيير وقوّة فاعلة نعوّل عليها لبناء المستقبل". (9)

4 ـ أهمّ مكاسب المرأة التّونسيّة :

أهمّ مكسب على الإطلاق هو صدور مجلّة الأحوال الشخصيّة ، وكلّ المكاسب

الّتي تحقّقت للمرأة تولّدت عنه . وهي مجلّة قانونيّة لفائدة الأسرة ولفائدة المرأة الّتي أنصفها وأكرمها الاستقلال باعادة الاعتبار لها وتسويتها بالرّجل في الحقوق والواجبات وقد صدرت يوم 13 أوت 1956 وهي مجلّة رائدة على الصّعيد العربي والإسلامي والإفريقي .

ومن أهمّ الإصلاحات الّتي أقرّتها المجلّة (10) نذكر :

* إلغاء تعدّد الزّوجات وزجر المخالفين لتراتيبه بالسّجن أو بالخطيّة .

* إلغاء الزّواج بالإكراه ، باقراررضاء البنت قبل تزويجها كشرط أساسي لصحّة الزّواج .

* تنظيم الطّلاق وذلك بجعله من أنظار المحاكم والعدالة المدنيّة فقط . وسوّت بين المرأة والرّجل عند الطّلاق مع ضمان حقوق المرأة والأبناء بعد الطّلاق من حيث النّفقة والحضانة تسند حسب مصلحة المحضون .

* الإرث بقي معمولا بهبما يوافق الشّريعة . إلاّأنّه للمرأة أن تتمتّع بكامل تركتها إذا مات وتركها بدون أبناء .

* إمكانيّة التّنصيص ـ في عقد الصّداق ـ على اشتراك الزّوجين مناصفة في ممتلكات ما بعد الزّواج .

* إحداث صندوق إهمال العيال الّذي يضمن تسديد النّفقة والجراية المحكوم بها لفائدة المرأة المفارقة وأبنائهما .

* للمرأة المطلّقة تعسّفيّا أو للضّرر جراية عمريّة ـ قابلة للمراجعة ـ حسب تغيّر مستوى المعيشة حماية لها من الفقر وضمان الحدّ الأدنى من العيش الكريم لها .

هذا إلى جانب الكمّ الهائل من الحقوق والمكاسب الّتي تحقّق للمرأة في جميع المجالات والقطاعات، بل بات من النّادر جداً أن نجد حفلا ينشّط فيه الرّجل دون أن تكون المرأة حاضرة إلى جواره (11) إن لم تحتلّ المواقع الأولى في بعض المجالات، حتّى صارت مضرب الأمثال في مايمكن أن تصله المرأة العربيّة والإسلاميّة من تحضّر ورقيّ وفاعليّة في المجتمع، وهكذا كلّه بفضل "رجال" آمنوا بقدراتها فراهنوا عليها، ثمّ بفضل وعيها بامكانيّاتها ممّا جعلها تبرهن عليها أيّما برهان، فخرجت من طور التّبعيّة للرّجل إلى طور "المساواة فالشّراكة" .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش والتّعليقات :

* الإصلاحية : مصطلح اقتبسناه عن الكاتب المغربي علال الفاسي في كتابه " الحركات الاستقلالية العربيّة والدّول الوطنيّة " .

(1) أحمد ابن أبي الضياف (1804 - 1874 م) ، صاحب كتاب " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان " ورسالته حول المرأة الّتي نحن بصدد دراستها قام بتحقيقها المنصف الشنوفي ونشرها في مجلّة " الحوليات التّونسيّة " الّتي تصدرها الجامعة التّونسيّة ، وهو يعتبر مؤرّخا بالأساس ، وهو محرّر عهد الأمان سنة 1861 م .

(2) أحمد خالد ، أضواء من البيئة التّونسيّة على الطّاهر الحدّاد وتضال جيل ، ص ص ، 260-261 .

(3) المرجع نفسه ، ص ص ، 262-263 .

(4) Habib bourghiba , LE VOILE , n ; etendard Tunisien , 11/01/1929

* انظر كذلك : . L'action Tunisienne - du 22/10/1956

ورد في : أحمد خالد ، المرجع نفسه ، ص 262 .

(5) ولعلّ قانون إجبارية التّعليم وتعميمه من أهمّ العوامل لتوعية الرّجل بقدرات المرأة ووعيها هي بذاتها وأهميتها في المجتمع وفي دورها في التّنمية .

(6) كما تضمّنت خطاباته العديدة مواقف مدعّمة لحقوق المرأة داعيا إلى المزيد من التّدعيم والتّطوّر – انظر بياناته في (88/11/7 ، 89/3/31 ، 1991/4/9 ، 1991/5/ 18 ، 1992/1/27) إلخ .....

(7) خطاب 13 أوت 1993.

(8) فقرة مقتطفة من البيان بتصرّف إذ جاء الحديث جامعا لأبناء تونس وبناتها في الخارج ، ونحن قد أخذنا منه الجانب الخاص بالمرأة . وفي ما يلي الفقرة المقتبسة بحرفيتها : " (.....) ولم نستثن في ذلك العنصر أبناء تونس وبناتها في الخارج فعزّزنا مكاسبهم وطوّرنا الإدارة لهم ليكونوا أحسن سفراء للوطن في بلدان إقامتهم وليساهموا من موقعهم في تحقيق طموحات البلاد في الرّقيّ والتّقدّم ، فكانوا في مقدّمة قوى الفعل والإنجاز . وسنواصل العمل على تقوية الجسور الّتي تربطهم بجذورهم وأرضهم حتّى يكونوا مثلما كانوا دائما في طليعة من يرفع راية البلاد عالية بكلّ نخوة واعتزاز " .

(9) من بيان 20 مارس 1998 بقصر الرّياضة بالمنزه .

(10) راجع 7 نوفمبر : الثّورة الهادئة ، ص 129 .

(11) قد تجاوزت الفتاة – أو المرأة – التّونسيّة كلّ العقد والمركّبات لتحتلّ مواقع كنت تخال – إلى عهد ليس ببعيد – من اختصاص الرّجل كالميكانيك والنّجارة والبناء والصّيد البحري وسياقة الحافلات وسيّارات السّباق (الرّالي) ، بل صرنا نتحدّث هذه الأيّام عن كرة القدم النّسائيّة الخ ..... هذا عدا احتلالها مناصب سامية وفي مواقع أخذ القرار في السّلطة والمنظّمات والأحزاب والشّركات حتّى صارت قولة " النّساء ناقصات عقل ودين " مردودة على منافذيها وينكرها الواقع الملموس .

الأدب الجديد ـ والرؤيا الجديدة

بقلم : هشام العيسى
العراق

إن الادب الجديد ، يتضمن طريقة تعبير جديدة ، إذ ليس هناك حقائق مستقلّة بذاتها ، بل رؤى ووجهات نظر مغايرة ، ولا بدّ لي من أن أشير الى أن القصيدة الجديدة، تشكّل حضورا مستقلا بذاتها، إذ يتأتّى هذا الحضور من خلال شكل القصيدة خارجا عن جميع القواعد والسياقات ، فهي تخضع اللغة وقواعدها لأسباب جديدة ثانية ، بحيث تؤكد في وجودها على رقيّ الذات بأعلى درجاته ، وذلك من خلال التّمرد والبناء ، وهذا ما نلمسه دائما في الشعر العربي الجديد ، فنأخذ هنا بعض القصائد المنشورة في مجلة الإتحاف ذي العدد 96 ديسمبر 1998 لبعض الشعراء الذين بدأت تجاربهم بالإستقرار والنضوج ، إذ يهمّنا أن نحلّل بناء هذه القصائد ، شكلا ومضمونا، أن نظهر طريقة التعبير الجديدة ، والمنحى الجمالي لها .

في قصيدة (شراع) للشاعرة أميرة الرّويقي فاننا نلمس رؤيا جديدة في خلق فضاء جديد خاص بها ، فهي تحلّق عاليا في مساحات هذا الفضاء ، بأسلوب نثري مغلق تماما من خلال تهافت المفردات التالية ، الحلم ، أحتلم ، أنبجس ، إذ تستخدمها الشاعرة في ثلاث مقاطع ، برؤيا جديدة ، ومغايرة لما هو مألوف ومعتاد في قصيدة النثر العربية وهذا ما يدعونا الى التفاؤل . فهي تأخذ الليل في هذا المفصل من القصيدة لتعبّر عنه أو تصفه على أنه خالي من أيّ مسحة للحياة فهي ترى فيه القفار، الجماد ، التّيبّس ، إذ تبدأ بالتّساؤل المرير والمحاكاة القاسية، (لم لا تتكلم ..؛) او (أين منك لسانك ؛) (أين منك الصدى) .

فليس هناك غير العتمة التي تلتصق بالذات المحكية ، فهي تقول (تقبلني عتمتك) (أحبل تغازلني نجمتك) (أحتلم) إنها تسمو في هذا الجانب التوصيفي

الذي لا يمنحها من الليل إلاّ العتمة دون فعل وجودي حقيقي ، فهي تريد منه أن يكون شخصا حاضرا بذات إنسانية كبيرة متدفّقة كي تطفىء رغبتها به بعيدا عن الصمت والموت ، الذي يعتريها ، فهي ترتقي في هذا المقطع الى أعلى درجات الذات الإنسانية والرغبة الداخلية الجامحة في الشهوة التي تسكن في خلجاتها ، إذ تعلن عن نفسها أمام هذا الليل ، بأنها (تنبجس حلمة بيضاء) دون أي حركة أو مداعبة ، لقد نجحت الشاعرة باظهار ما في داخلها من الجوع الى اللّذة ، الى النشوة وهذا ما تعكسه القصيدة في الشكل والمضمون من خلال بنائيّتها .

(أمّا طواف ... في غير مواسم الحجّ) للشاعرة سعاد الشايب فإننا نرى بأنّ هناك ضمن مقاطع تتصدّرها مفردة (حيّا) فهي تدعو من خلال بناء هذه القصيدة إلى حضور الذات الغائبة الأخرى ، الى تفاعل حقيقي مع ذات الشاعرة حين يتملّكها الوجد، فهي تكرّر نداءها بشكل عفوي تلقائي ، تاركة وراءها سيلا من المفردات الطائفة والمحتفية بأوهام الطبيعة والخيال، فهي تقول في المقطع الأخير من القصيدة (حيّا على القلب وقم صلّ وطف ...في غير مواسم الحج) أي أنّها تدعوللطواف حولها ، وحول أوهامها التي تشكّلهابين حين وآخر بشكل إيحائي جميل .

أما في (ألق الوتر) للشاعرة حفيظة القاسمي ، فانها تخضع القصيدة للوزن في أغلب جوانبها الذي يظهر واضحا من خلال الإيقاع وأحرف الروي فهذه التجربة ليست بالجديدة ، ولكن الجديد في هذه القصيدة هو طريقة إستلهامها للموروث الماضي في تاريخ أدبنا العربي بأسلوب جديد مغاير .

أمّا قصيدة (زلاّت عشق) للشاعرة محجوبة الجلاصي فانني قد تناولتها بشكل مفصّل في مقال خاص ، كنت قد بعثت به الى مجلّة الإتحاف في الشهر المنصرم كونها تستحق النّظر ، والبحث ، والتّقصي .

وعلى العموم فان التجارب التي كشفنا عنها في مقالنا هذا جديرة بالعناية والمتابعة ، لما تمتلكه من رؤى إبداعية ،وطرق جديدة في التفكير .

ملاحظة : إنّ هذا المقال مخصّص للأدب النسوي الذي تلقّيته من مجلة الإتحاف 96 ديسمبر 1998 والذي يتطلب منّا عناية ورعاية جدّية لما تحضى به المرأة العربية من مكانة في مجتمعنا العربي الحديث .

جمالية الخارق في القص العربي المعاصر

بقلم : طارق العمراوي

يقول الكاتب الإيطالي الشهير أمبرتو أيكو في تحليل « اللّغة الشعرية » :« إنّ الآلة الجمالية لا تنكر القدرات الشخصية لردود فعل المتفرجين بل أكثر من ذلك فهي تثير القدرات الشخصيّة وتضع الشروط الضرورية لعملهاونجاحها فهي توجهها وتتحكم فيها ... إنّ الصياغة لا تظلّ سجينة إحساس واحد ولكنّها تفيض من كمّ هائل من الإنفعالات التّي تثيرها الصياغة وتتحكم فيها » . (مجلة الحياة الثقافية العدد 79 نوفمبر 1996 ص 70 ترجمة الأستاذ رضا بن صالح) .

على هذا النحو ، تحوّلت الكتابة الإبداعية في عصرنا إلى وعاء جامع لثقافة للكاتب ومطالعاته اليومية من كتابات رمزية وأنماط قصصيّة وروائية تحكمها ظواهر خارقة للواقع تتّسم وظائفها في صلب النصوص الأدبيّة بالصورة المجازية والمبالغة والحدث الغرائبي والعجيب الخرافي ومظاهر العجائب والفنتسطيكي مع محاولة توظيف نظريات أخرى تنهض على المثاقفة والبحث عن أساليب تعبيرية جديدة الكتابة تجعل الكاتب يلجأ إلى الرمز لإغنـاء النصّ الإبداعي ولتقوية طاقته الإبداعية .

هذه الظواهر الغرائبية والعجائبية والفنتسطيكية التّي تجلّيها لنا النصوص الروائية والقصصية تبدو مندسّة في الواقع منشدّة إليه تكوّن معه عالما واحدا:

فهل يمكن إعتبار الخارق شكلا تعبيريا من أشكال الكتابة الأدبية ، أم نحن إزاء أسلوب إنشائي يوظف في السّرد سواء في القصّة أو في الرواية ؟

ولماذا ظهر خطاب الخارق في القصّ العربيّ المعاصر في السنوات الأخيرة ؟ وهل

يمكن الحديث عن جمالية خاصة بالخارق باعتباره خطابا أدبيا له جماليته ؟ وهل هناك خيط سميك يربط الخيال العلمي بالخارق العجيب ؟

أسئلة مشروعة سنحاول الإجابة عنها من الناحية المنهجية والنظرية في محورين أساسين :

1) خطاب الخارق وجمالية التلقي :

2) تجليات الخارق في القص العربي المعاصر

1 خطاب الخارق وجمالية التلقي :

يقول القصاص والرّوائي الأرجنتيني الشهير خولوو كورتاثار :

« إنّي أعتقد بأن هذا الخارق جزء من الواقع وهذا الخارق في ما أرى لا يقل واقعية عن انواقع المزعوم وحين ينبجس الخارق في حياتي أو في قصصي فانّه يكون واقعيا أكثر من الواقع نفسه » .

على هذا النحو يكون الخارق شكلا تعبيريًا مانعا وجد في ثالوث الغرائب والعجائب والفنتسطيكي مستقرا واتخذ من عوالم الخرافة والحكايات العجيبة ملاذا للظّهور في أشكال مختلفة وأنماط متنوعة . والخارق بصورة أدق هو أسلوب في التعبير يمكن أن يلتصق بالقصّة أو بالرّواية أو بأي جنس سردي آخر من الأجناس الأدبيّة . ومع حداثة طور توظيف الخارق بمدونة القصّ العربي المعاصر فقد تجلى لنا خطابه بوضوح في نصوص الثمانينات والتسعينات وظهر بكثافة ضمن ملامح وسمات بارزة تجليها لنا قصص وروايات : « حارة الزّعفران » و"هاتف المغيب" لجمال الغيطاني ، "متاهات السراب" للكاتب الأردني مؤنس الرزّاز ، "مدن بلا نخيل" للكاتب السوداني طارق الطيب ، "أقصوصة الأرض مرصودة بأهلها" للكاتب الفلسطيني محمد نفاع ، "عرس الزين" للطيّب صالح ، "أضواء المدينة" للكاتب اللّبناني إلياس خوري ، "النخاس" لصلاح الدين بوجاه ، "الفتيان في وقائع الغربة والأشجان" لفرج لحوار ، "زهرة الصخرة البريّة" للكاتب السوري وليد معماري ... » .

من هنا ندرك أن الخارق آلية جديدة من آليات القصّ تمّ توظيفها واستخدامها في إثراء وتحريك النصوص الأدبية في مرحلة دقيقة من مراحل التحولات العالمية

لتساعد الكاتب على قراءة الواقع قراءة جديدة تتوافق مع حركة الوقت وتطوّر نسق الحياة يكون الاقلاع فيها من دائرة الواقع الصلب للتعليق بفضاء جمالي بديل لرصد عوالم جديدة تزخر بحركة الفواعل المحوريّة وتعكس مظاهرها المثيرة وتصرفاتها العجيبة التّي تقوم على المفارقة والمقابلة والمشاكلة والتفاوت الطبقي فتسقط الحواجز وترفع الحدود من خلال ممارسة جمالية هدفها الأسمى بحث الكاتب عن عالم بديل تنهد فيه صروح الجهل والفروق الاجتماعية ويتحرر فيه الإنسان من كلّ ما يكبل إنسانيّة ليمارس حياته العادية على أرض ولود مخصاب تراهن شعوبها ومجتمعاتها على حريّة الفكر ومقومات الإبداع من فوقها تنطلق كلمة المبدع غنية بمصادر ومراجع الآداب العالمية لتشكل خطابها وتبحث عن سبل انتشارها ورواجها في منظومة الآداب الكونية وعن دروب روافدها في وهج الحياة الإجتماعية والنفسيّة وتتزيّا في حالة المخاض والولادة بفكر نقدي بعيد عن الهدوء المفتعل وعن المجاملات اليومية والنفاق الاجتماعي والإطراء المجاني فتتحول إلى شاشة بلاغيّة تصوّر عوالم الخرافة والحكايات العجيبة كما حدد « بروب Prop نحوها ونظامها بـ « التجلي» وتعكس جمالية الصّورة المجازية للخارق العجيب لتعود إلى ثقافة المبدع المشحونة بالدّلالات والرّموز والتراكمات النصيّة وتبحث في سياقاتها عن جمالية الفعل الإبداعي المنجز مع تجارب أصحابها « بلغة يؤسس نصّها داخل العلاقات الإنسانية المعتادة » حسب عبارة رولون بارت في كتابه (المغامرة السيميائيّة ص 62) .

ومن ثمّة فانّ النصوص القصصيّة والروائية الصادرة في مرحلة الثمانينات والتسعينات والمكتوبة بصيغ مخصوصة وإن قامت على خلق وظائف محورية لخطاب الخارق في صلبها لتجاوز المألوف والمعتاد لإعطاء الإنطباع بوجود واقع تحكمه مظاهر خارقة للطبيعة تبدو للقارئ محفوفة بالملابسات والغموض فانّها تسعى إلى تأصيل جمالية التلقي في ذهن هذا القارئ : « إنّ الواقعية التخييليّة على نحو ما ظهرت في الغرب قد شهدت في أمريكا اللاّتينية أزمة أدت إلى انقسامها قسمين : أحدهما الواقعية الطبيعية التّي واصلت عمل إميل زولا Imil Zola المؤمن بالتوثيق ، والآخر الواقعية السحرية التّي اعتمدت الأصول

الإنسانية والثّقافية الإجتماعية وهذا الاتجاه ليس نقضا للواقعية وإنّما هو إثراء لمفهومها العادي وادخال لعنصر جمالي في تركيبها وتركيز لعوامل حقيقية فعالة في بنيتها ». الدكتور صلاح فضل كتاب «منهج الواقعية في الإبداع الأدبيّ ».

2 ـ تجليات الخارق في القصّ العربيّ المعاصر :

يعرف الناقد الروسي الشهير تيودوروف مفهومه للخارق في كتابه « مدخل إلى الأدب الفنتسطيكي » بقوله : « إذا انتهينا كقرّاء إلى قبول تجسيد طبيعي للخارق فنحن إزاء الأدب الغرائبي ... وإذا قبلنا الحدث الخارق وسلّمنا بوقائعه فنحن إزاء الأدب العجائبي ... وإذا وقعنا بين حالتي القبول والرّفض فنحن إزاء الأدب الفنتسطيكي » .

فهل تستجيب مدونة القصّ العربي المعاصر إلى ثلاثية معايير تيودوروف في تحديد أنماط الخارق ؟ .

لقد أصبحت النصوص السرديّة العربية تحتفي بالخارق وتعتبره واقعا لا يمكن لكاتب القصة أو الرواية تجاوزه بل تحول الإحتفاء بهذا الخارق في نظرنا إلى نوع من الإنبعاث الثقافيّ والتواصل مع الآداب الكونية وعلى وجه الخصوص مع أعمال موجة جديدة لها مواصفاتها وسمات أدبها خرجت بحساسيّتها الجديدة من أقطار أمريكا اللاّتينية وامتدت إلى الغرب الأوروبي ومن هناك راجت في سائر الآداب العالمية واستطاعت تحقيق ما اصطلح على تسميته بالغزو الثقافيّ المعاكس .

من أشهر رموز هذه الموجة الجديدة « الرّوائي الكولومبي ماركيز والكاتب المكسيكي كارلوس بيكز والأديب الأرجنتيني ميشال أستورياس والرّوائي الكوبي رونالد داریاس والكاتب الشيلي خوزي دوموزو...

واعتبارا لتطوّر آليات الكتابة في مدوّنة القص العربي المعاصر والوعي العميق الذّي تشهده الساحة الثّقافية العربية من خلال حرص الكتاب على انخراط قصصهم ورواياتهم في خطاب أدبي مجسد لسلطة الخيال لا يقل أهميّة عن الخيال العلميّ الذي يستند التخيل فيه إلى تطور الموارد البشرية وإلى نتائج تقدمها العلمي والتقني من أجل المثاقفة والتوسيع الفعلي لمادّة النصوص القصصية والروائية والبحث في أساليب تعبيرية جديدة للكتابة فان تجليّات الخارق تبدو

واضحة المعالم في روايات الثمانينات والتسعينات وأكثر حضورا في الفنّ القصصيّ حسب اجتهاد الأستاذ الجامعي أحمد السّماوي : « لما للاقصوصة من كثافة يتوفر عليها الخطاب وبنية هلالية متعددة الذرى ومصير مأساوي يتلاءم والنهاية الفجئية للفعل مع ضوابط الأقصوصة الفنية حيث وحدة الأثر ولحظة الازمة وأتساق التصميم ».

هذه الظوابط الفنية تتوافق مع ثلاثية التّمهيد والتأزّم والانفراج فتجعل العمل القصصي قادرا على الإتّساع لخطاب الخارق ضمن سلسلة العلاقات التّي تصنعها اللّغة بالكلمات فتتاخم بتوظيفها في النصوص السردية عوالم الخارق العجيب ومجالات التراكمات النصية . وتسعى إلى بلورة خطاب الخارق في صيغ تصويرية إيحائية خاطفة ضمن مواقف خارقة تجسد مختلف أشكال الفعل والفكر التّي بواسطتها يحدّد الإنسان موقعه من العالم لأنّ الإبداع حسب إعتراف أدونيس : «جهد وعرق وكفاح وجمالية وإلهام » . يساعد المبدع على اقتحام عوالم محفوفة بالغموض لا زاحة الأقنعة على شخوص محورية مثيرة لدهشة وفضول القارئ تتنزل في النصوص على أنّها ضرب من الخارق العجيب على شخصية « بوسروال » في قصة « المشي بسيقان ميتة » في مجموعة « مواويل عائد في ضفة النّار » للقصاص الميزوني البناني ...

هذا الخارق يمكّن بحضوره بكثافة في النصوص السرديّة الكاتب من التعامل مع احداث غير طبيعية تنهل مصادرها من سعة خيال المبدع وتلتقط صورها من عوالم الخارق واللاّمعقول ضمن معادلة محوريّة تقوم أسسها على التضاد والاختلاف ، طرفها الأساسي قطيعة بين المادي والرّوحي لتحقيق الفصل الدقيق بين الواقعي والطبيعي وهي ثنائية متداولة في نصوص الخارق وثلاثية الرمزي والغير طبيعي وظاهرة المنطق الصّوري حيث تشكل اللّحظات الأساسية والأحداث المتلاحقة مفاصل النصّ ضمن أنماط تعبيرية جديدة تحول الأثر الإبداعي المكتوب إلى مكوّن لأفعال تشي بأن الشّخصيّة المحوريّة هي التّي تستقطب اهتمام الكاتب والقارئ على حدّ سواء . فهي تحسّ وتشعر وتحكم وتقدر باختراقها لخطاب له منطق صوري يختلف من وجوه كثيرة عن منطق المعتاد والسائد في الكتابة القصصيّة والروائية .

وهكذا ندرك : « أنّ الكتابة إيضاح لوجود غائم في النفس وكشف ثقافيّ وحضاريّ » حسب عبارة الدكتور عبد الله محمد الغذامي في كتابه (موقف من الحداثة ومسائل أخرى) فتنفتح دوالّها على الكتابة القصصّية والروائية وتترك أثر كتابها في ذهن القارئ بتحويلها إلى دال فنيّ ومعطى سيكولوجي من خلال تشكلات مخيالية عمل كتّاب مدونة القصّ العربي المعاصر في أكثر من موضع على استحضارها وتشخيصها ومحاورتها بايقاع منتظم يجمع بين ثنائيات السرد والوصف والقبول والرّفض ،والتجانس والتضاد ، والتجاور والتنافر ، ...

ضمن خطاب خارق هو نقيض الخطاب الواقعي لإثراء مشهد القصّ العربيّ بنتاج الآلة الجمالية التّي يحركها الكاتب ضمن مدارات الكتابة القصصّية والروائية التّي تكون مفاصل نصوص مدونة القصّ العربيّ المعاصر وهي نصوص تحكم الرّبط بين ما كان وماهو كائن وما يمكن أن يكون لتصل الحاضر بالماضي والمستقبل بالحاضر في نسق عضوي . مدهش مفعم بالدوالّ الغرائبية والعجائبية والفنتسطيكية وبصرامة الخارق العجيب التيّ تساعد النصّ على احتضان العالم .

على هذا النحو يبدو لنا توظيف الخارق في مدونة القصّ العربيّ المعاصر في السنوات الأخيرة أكثر عمقا وآشتدّ تحليلا باعتباره نظرة جديدة إلى العالم وخطابا أدبيًا وممارسة جمالية وهو ما يفسّر ظهوره في أجناس مختلفة فلم يقتصر على الأقصوصة بل تجاوزها إلى الرّواية .

هوامش :

1 . « شعرية الرواية الفنتسطيكية » أطروحة الجامعي المصري شعيب الحنيفي .

2 . « الواقعية السحريّة والغزو الثقافي المعاكس » دراسة الدكتور محمد القاضي في الدّورة الرّابعة لملتقى القصّة القصيرة بالقصرين أفريل 1998 .

3 . « الشعرالعربيّ المعاصرين ظروف بؤسه وتدني منتجيه » دراسة الأستاذ جاسم كريم حبيب من اليمن .

4 . مجلة الإتحاف العدد 88 أفريل 1998ص 54 . 55

قصيدة النّثر العراقيّة
ـ قراءة في بنياتها الفنيّة ـ



د. بشرى موسى صالح

مدخـل

تعد (قصيدةالنّثر) واحدة من الخطوات التحديثية المهمّة التي خطتها القصيدة العربيّة وهيّ تسلك سبيلها الإبداعي في التعويض عن غياب الوزن والقافيّة والتركيز على عناصر جماليّة أخرى تميّز فن الشّعر ، بغض النّظر عما عانته من التشكيك فيها وفي هويّتها الشعريّة .

إنّ قصيدة النّثر في أبسط تعريفاتها هيّ كتابة الشّعر نثرا ، ويبدو المنطق الرّافض لها مرتكزا في أقوى حججه على أنّ الشّعر شعر والنّثر نثر ، ولا يجوز الجمع بينهما ، فالجمع بينهما جمع بين متناقضين لا يجتمعان ، وينتج عنه مخلوق مشوّه فاقد لهويّته ، ويصوّر هذا المنطق على عدّ الوزن والنظام ...الإيقاعي معيارا وحيدا للشعريّة (١).

وفي إطار التّأسيس النقدي العربي لها حاولت بحوث ودراسات أن تبحث فيها مصطلحا وتنقّب في أصولها أو أشكالها العربيّة الأولى ، ومع التأصيل العربي لقصيدة النّثر وجد بعض الدارسين أنّ لقصيدة النّثر جذرها العربي الذي يمتد الى النثر الصوفي العربي ، ويعدّ أدونيس (أحد أعلام قصيدةالنّثر البارزين) . أوّل من روّج لهذه الفكرة . فرأى أنّه في التراث الصوفي يجد الشاعر العربي الشّعر " لا ينحصر في الوزن ، وأنّ طرق التّعبير في هذه الكتابات وطرق إستخدام اللّغة هيّ جوهريًا شعريّة وإن كانت غير موزونة " (٢).

ويرتكز أدونيس في إهمال شرط الوزن معيارا أساسيًا للشعريّة الى مسند تراثي آخر يتمثّل في إحتكام الجرجاني (عبد القاهر) الى جعل اللّغة الشعـريّة

أو طريقة إستخدام اللّغة مقياسا للتمييز بين الشعر والنثر لا مجرّد تحقّق الوزن والقافية (٣) .

وحاولت بعض الدراسات أنّ تؤرّخ لقصيدة النّثر عند الغربيين والكشف عن جذورها الأولى لديهم ، ويبدو النّصف الثاني من القرن التاسع عشر ، البداية الحقيقيّة لقصيدة النّثر العربيّة ، ويجمع الدارسون على أنّ الشاعر الفرنسي (رامبو) هو أوّل من كتب قصيدة النثر ، إلاّ أنّ ، قصائد (بودلير) نالت أكبر شهرة مما نالته قصائد رامبو(٤).

وفي هذا الجذر الغربي نجد محاولات أخرى ترد أصولها الى الشعراء الألمان من أمثال (كيسنو) و(نوفاليس) و (هولدرلين) في مطلع القرن التاسع عشرة وقبل بودلير، أو الى الشعراء الأنجليز أمثال (ديكوينسي) وغيرهم(٥) .

وفي إطار زمن الكتابة بهذا النمط الشعري في الشّعر (العربي) إنقسم الدارسون فئتين بهذا الصدد ، ترى الأولى أنّ بداية الكتابة الشعريّة بهذا النمط الإبداعي كانت في مطلع القرن العشرين ، فقد ظهرت في هذه المرحلة بعض الكتابات التي تشكّل طبقا لما ترى هذه الفئة البداية الحقيقيّة لتوجّه الكتّاب والشعراء الى نمط شعري يخرج على قواعد الوزن والقافيّة توجّها صادرا عن محاكاة الغرب على يد شاعرين من شعراء المهجر الشمالي وهما : أمين الريحاني وجبران خليل جبران حيث توالت منذ سنة ١٩٠٧ قصائد عديدة لأمين الرّيحاني يصرّح فيها بتأثّره بالشعراء الأنجليز والألمان ، وتتزامن جهود جبران مع جهود الريحاني في كتابة الشّعر المنثور .

وبعد ذلك نسخ العديد من الشعراء في الوطن العربي وفي المهجر على منوال تلك المحاولات فتخلّواعن إيقاع الشّعر وإستخدموا إيقاع النّثر ، منهم ميخائيل نعيمة ورشيد نخله وتوفيق صايغ وباكثير ولويس عوض . ووصفت هذه المحاولات بأنّها محاولات فردية لم يكتب لها الإستمرار ولم تلق صدى واسعا (٦) .

وترى الفئة الثّانية أن أصل الكتابة بهذا الجنس الإبداعي كانت مع مجلّة شعر إذ نجد أنّ ما أصدرته بأقلام مؤسسيها من (مونيفستو) عام ١٩٥٧ يوضّح ملامحها المستمدّة على نحو واضح مما طرحته سوزان برنار في كتابها (قصيدة النّثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من بودلير الى أيّامنا) حيث كان كتابها دستورا للمجلّة والتجمّع (٧) .

وتجدر الإشارة الى أنّ الدكتور علي جواد الطاهر صنّف بعض أمثلة ، النّثر المركز لحسين مردان ضمن الشعر رغم نفي الشّاعر ، نفسه ، صفة الشّعر عن محاولاته تلك (٨) .

ومن هنا فاذا إستندنا الى (الرّيادة الزمنيّة) لقصيدة النّثر المتمثّلة بموقف الفئة الأولى يكون الشعر العربي قد مرّ بالمراحل الإيقاعيّة الآتية :

شعر الشّطرين ـ الشعر المنثور (الشكل الأوّلي لقصيدة النّثر) ـ الشعر الحرّ (قصيدة التفعيلة) (٩) .

أمّا إذا إستندنا الى (الريادة الفنّية) المحتكمة الى جذر تأثّري غربي ، وبيان نقدي منثور ، وتجارب شعرية مكرّسة في دواوين ، يكون الشّعر العربي قد مرّ بالأطوار الإيقاعيّة الآتية :

- شعر الشطرين ـــــ الشعر الحر ـــــ قصيدة النّثر .

وأفضى التّشكيك بالنيّات الفنيّة لأصحاب ، مجلّة شعر ، وفضح دوافعهم السياسيّة والفكريّة المشبوهة الى التشكيك بالقيمة الفنّية لهذا الشكل الإبداعي وإدانة أصحابه فكريا ، كان هذا في الستينات ؟!!

إنّ هذه القصيدة قد جذبت إليها في العقدين الأخيرين من هذا القرن عددا كبيرا من الشعراء ، ومن يتصفّح الدواوين العراقيّة الصادرة حديثا يجد متّسعا ملحوظا في قاعدة النّثر : " ليس فقط من شعراء أغرتهم هذه القصيدة ومازالت بالإتجاه إليها بين الحين والآخر ، وإنّما من قبل شعراء إتجهوا إليها كلّيا ، وفضّلوها على قصيدة (التفعيلة) والقصيدة العموديّة " (١٠) .

وللتقويم النقدي لهذه القصيدة يبدو مناسبا أن ننطلق ، كما تدعو سوزان برنار " من أبسط العناصر لتحديد المبدأ المزدوج لقصيدة النّثر الّذي هو نثر وشعر في آن واحد ، ثمّ سوف نبيّن كيف أنّ هذا المبدأ المزدوج يتناسب مع ميل مزدوج ، هو الرغبة في التخلّص من القوانين الشكليّة وفي خلق شكل في آن واحد وكيف أنّ قصيدة النّثر تأتي أخيرا بصيغة مزدوجة " (١١) .

إنّ هذا الإهتمام المتزايد بقصيدة النّثر يستوجب أن نغادر منطقة المراجعة

الأولى ، في الأصل ، والنّشأة ، والمصطلح ، ومواقف الرضا والرّفض ، والشّعر شعر والنّثر نثر ، والتّحوّل بها الى فرضيّات جديدة تأتي الى الشعر من فضاء الشعر لا من كوّة الوزن .

فرضيّة أولى : تكريس الحضور

ينطلق هذا المحور من فرضيّة أولى يسعى الى وضعها أساسا ودعامة في النّظر الى قصيدة النّثر وفحوى هذه الفرضيّة يقول : إنّ الأشكال الإبداعيّة المختلفة هيّ أشكال تمتلك وجودها الفني بالفعليّة لا بالإسميّة ونحن إذ نستعير هذين المصطلحين النحويين لا نستعيرهما على سبيل المجاز بل على سبيل الحقيقة ، فنأخذ من الفعل دلالته على التغيير والتجدّد المستمرين ،ونستعير من الإسم دلالته على الثبوت والإستقرار المتواترتين ، ولعلّ من اليسر أن نفسّر الآن سبب هذه الإستعارة ، فالأشكال الشعريّة لا تملك هويّتها الحقيقيّة من أسميّتها المجرّدة أو التعبير الثّابت المستقر عنها ، وإنّما تمتلك هذه الهويّة من فعلها الإبداعي المتغيّر الممتلك لخصوصيّة التحوّل والتجدّد . ونعود لنفسّر الأمر من زاويّة أخرى تقتضي منّا النّظر الى شكلنا الإبداعي المقترح للمناقشة محورا لهذا البحث في ضوء (خصوصيّته) وتفرّده وفعله المميّز لاعلى سبيل مقارنة هذاالشّكل بغيره من الأشكال ، فالمقارنات المجرّدة لا تخدم الأعمال الإبداعيّة في شيء بل على العكس فهي تنطوي على خطر كبير قائم على التعرّف الذّهني الذي ينأى عن مغادرة الكسل ومبارحته نحو تجريب النّظر الى أشكال وأنماط أخرى ، على نحو متحرّر من المقارنات والموازنات ، والجمع والطّرح في المزايا والعيوب ، مما يفضي الى مزالق تضرّ أكثر بكثير مما تنفع .

إنّ البحث في قصيدة النّثر ، في العقد الأخير من القرن العشرين يفترض أن يتخلّص من الخوض في السجال التقليدي الذى يحاول أن يشطب على الأشكال الإبداعيّة منطلقا من ثوابت الذّائقة التقليديّة ، التي مهما إختلفنا أو إئتلفنا معها فهي لا تعبّر إلاّ عن أصحابها ، فالأشكال تمتلك أجناسيّتها من فعلها الإبداعي المترسّب عبر التجارب المختلفة التي يرشّحها الزمن فتمتلك وجودها بالفعل لا بالقوّة وتجارب الحداثة أصبحت أكثر وعيا وتصدّيا للأفتات التقليديّة فلم تعد تعنى كثيرا

بالوقوف عندها . ولا نطمح هنا الى تقديم صورة بانوراميّة للأشكال الشعريّة العراقيّة اليوم . لأن زمن البانوراما النّقديّة قد غاب عن اللّوحة النقديّة . ولعلّ الذي غيّب النهج البانورامي ما سعت إليه المناهج النقديّة الحديثة من نقد بؤري تنفّسي يحفز، وينقر ، وينقّب وصولا الى تقديم توصيف بنائي محدّد ، واضعا يديه على مجسّات ظاهرة أو باطنيّة في النّص .

وتبدو قصيدة النّثر صالحة للإجراءات المنهجيّة الحديثة لكونها تمثّل فضاء حرّا يواجه به النّاقد (الشاعريّة) وقد تعرّت عن أنسجتها المألوفة المتمثّلة بالوزن والتفعيلة بوصفهما شرطين أساسيين للشعريّة العربيّة وقاعدتها النغميّة الموروثة ، مما يدفع بالنّاقد الى الوقوف عند طاقات النّص الأخرى خارج المستوى الموسيقي أو الإيقاعي ، ويترك له الفرصة في قراءة النصوص قراءات تأويليّة مختلفة تمنحها له حريّة الحركة ، بعد أن ذابت (المصدّات الإيقاعيّة) والسكنات ، والتوقيفات ، أصبح لشكل الكتابة والأسطر والنّقاط والبياض على سطح الورقة وعلامات الترقيم دلالات مختلفة تتّفق جميعا ، على أنّ الذّائقة النقديّة الحديثة هيّ، ذائقة قرائية مكتوبة ، لا شفاهيّة مسموعة .

وحين تكون التّجارب الإبداعيّة قليلةومحدودة يمكن التّجاوز عنها وترك الفرصة لها حتّى تثبت الشرعيّة لنفسها ولكن شيوع ظاهرة إبداعيّة شيوعا متباينا في نوعيّته الفنيّة ، والكميّة بين الشّعراء يفترض الوقوف عند الظّاهرة وفحصها .

إنّ من الغريب حقّا أن نبحث في حداثتناالشعريّة عن حدود أو حصونلا ينبغي تجاوزها أو القفز عليها ، إنّنا بذلك نضع الحداثة في معاقل واهية لا تركن إليها التّجارب الإبداعيّة بتقادم الزّمن فحين نقبل بالتّحديث ، علينا أن لا نقبل به مشروطا أو جزئيّا وأن نمضي به حتّى منتهاه(12) مهما كانت الدّعاوى ، إن كان الاحتكام إلى جودة المنجز الإبداعي هو الأساس في النّظرة النقديّة .

فرضيّة ثانية : مجلّة (شعر) وعقدة الرّفض :

قدرلقصيدة النّثر أن تكون محكومة بمجلّة (شعر) وبدوافع أصحابها السياسيّة ومنطلقاتهم الفكريّة فكانت محاكمة مجلّة (شعر) محاكمة لقصيدة النّثر وإدانة لها . إنّ أغلب الآراء النقديّة قدّمت بصددها كانت بصددهما ، وغابت عن الأذهان

المسافة الزّمنيّة الّتي قطعتها هذه القصيدة منذ إنجازات تلك المجلّة وبيانها الشّعري عام (1957) وما آلت إليه بعدما يزيد على ربع قرن بعشر سنوات ، فألف الأستاذ سامي مهدي كتابا متكاملا يراجع فيه قصيدة النّثر ضمن لوائح الإعلان النّقدي الأوّل لهافي مجلّة شعر ومنطلقات أصحابها وأوهامهم عام 1988 (13).

ويبدو أنّ الدّوافع هو هدم الأساس وصولا نحو هدم البناء ، فلذا عانت قصيدة النّثر من التّشكيك في أصالتها وشرعيّتها والإعتراف بهاشكلا أدبيّا مستقلاً أو متواشجا مع غيره .

ولا نهدف إلى الوقوف عند الآراء النقديّة المختلفة الّتي قد أدلى بها النقّاد العراقيون أو الدّارسون من الأكاديميين وغيرهم فقد رصد أغلبها بحث آخر(14) ، فالخوض فيها ومناقشتها سيفضي بنا إلى التّكرار ولا سيّما أنّ تلك الآراء لم تنء عن البحث في شرعيّتها وقضيّتها التّحديثيّة ، ومنطلقات الدّاعين إليها ، من أصحاب مجلة شعر ، ويمكن أن نطلق حكما يصدق على أكثرها وهو أنّها لا تبتعد في موقفها الرّافض عن (النّظرة الخارجيّة) إليها المختلفة في أسبابها السياسيّة والاجتماعيّة الّتي لا يمكن لها أن تكون بمفردها سببا فاعلا في الشطب على هذا المنجز الإبداعي إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار تلاشي تلك الدّواعي بعد الخروج من مناخات مجلّة (شعر) والإبتعاد عنها زمنيا وفنيا.

وبقيّت (النظرة الداخليّة) غائبة عن المتناول النقدي لدى النّقاد والباحثين العراقيين فكيف لهم أن يشرعوا بالدرس والتحليل لمنجز لم يعترفوا أصلا بهويّته الإبداعيّة ؛ فلم يحاولوا الإقتراب منها أو جسّها بغية التعرّف على خصائصها أو إستخراج قوانينها وإكتفوا بتقليب آراء أصحاب شعر في التنظير لها بهمومهم الميتافيزيقيّة وتطلّعاتهم الإنفصاليّة عن الواقع العربي ، وبالتعالي عليه ، والإنبهار بالمنجز الغربي التحديثي، دون النّظر الى إختلاف خصائص اللّغة العربيّة عن غيرها من اللّغات ولا سيّما الفرنسيّة ، موطن تأثّر جماعة شعر .

إنّ قصيدة النّثر هي شكل تعبيري كغيره من الأشكال الإبداعيّة نجد أنّ التوجّس منه أمر غير مبرّر فالطاقة التي يمتلكها هذا الشكل طاقة فنيّة لا غير ، فهو لا يهدم واقعا ولا يقوّض عالما ،ولا بأس ، بل ينبغي أن تتحاور الأشكال وأن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتجاذب الحديث فيما بينها وهي تعبّر عن (طوبوغرافيّة) الإبداع لدينا .

ولا نعتقد أنّ الأشكال الإبداعيّة تمتلك نيّات ما غير نيّاتها الفنيّة ، أما ما يترشّح منها مما هو غير فني فلا يلتصق بالأشكال بل بكتابها ، فمغادرة المألوف والإنفتاح على الأشكال الجديدة وتمثل روح الحداثة في المنجز الأبداعي أمر لا يمكن التنكّر له ، ومغادرة النّيات الأولى لأصحاب مجلّة شعر يفترض أن تكون لا مغادرة لقصيدة النّثر بل تفتيقا لنيّاتها الفنيّة غير المعلنة بعد .

قصيدة النثر العـراقيّـــة :

قراءة في نيّاتها الفنيّة :

لا يمكن النظر إلى قصيدة النّثر بقصد استخلاص قوانين عامّة لنمط الكتابة فيها فالثّوابت أو الملامح الشكليّة الثّابتة تكاد تكون مفقودة في هذا النّمط الإبداعي ومن ثمّ فالحدود المباشرة والخصائص المركزيّة غير واردة ولا مرئيّة فيها فحين يكون الشّاعر طبقا لقول (اوكتا فيوباث) : هو القوّة الموجّهة الّتي تقود التيّار الشّعري وتوجّهه وتحوّله ، فاننّا سنكون أمام واقعة مميّزة وعلى نحو جذري ، أمام عمل (15).

فالتمسّك بالخاصيّة العروضيّة للشّعر العربي يلغي شعريّة الشّعر (الدّاخليّة) ويسجنها بنسق خارجي هو: ((شرط مجتلب من حقل آخر هو حقل الموسيقى))(16).

أنّ المعادلة الشعريّة الّتي تحكم مريدي الشّعر شعراء ونقادا قائمة على طرفين بارزين : الأوّل خارجي وزني أو نغمي والآخر داخلي دلالي جعلها كوهين قسمين للشعريّة (17) ، ولكن لجعلها قابلة للتحقق ، أي المعادلة ، لابدّ من عدّها ممتثلة لحالات من الشّكل اللاّنهائيّة تتعدّد فيها الخبرات والإحتمالات التّجريبيّة ، قد يضمر فيها الحدّ الأوّل وتختفي تحت غلالته على نحو سرّي وشفّاف في حين يتجسّد الحدّ الثّاني بوضوح وتكثيف ليحقّق انحرافا عن التّأسيس الشّعري المألوف وهدا ما تحقّقه قصيدة النّثر في نماذجهاالمميّزة وتجربة النصّ المفتوح من بعدها ، حتّى ليمكنناالقول أنّه كلّما تضاءل الحدّالأوّل تضخّم الحدّ الثّاني ، فالصّلة بينهما عكسيّة ومهما يكن الأمر : (فالوزن قالب أي فضاء صوتي محدّد ومغلق في حين

أنَ الإيقاع ليس إلاّ المبدأ الموسيقي للنَظم الشَعري))(18) .

وتبدو (الشعريَة الموسيقيَة) إن صحَ التَعبير لهذا النَمط الإبداعي (قصيدة النَثر) في كسر الإنتظام (المرئي) للوزن أو الإيقاع والإنحراف بثقلها الأكبر نحو تحققات أخرى للشَعريَة .

إنَ الامتثال النَمطي للركا ئز التَقليديَة في عمليَة التلقّي النقديَة للشَعر يجهض الوسيلة النقديَة ويسحق حركتها المتوثّبة للانطلاق في فضا ء النصَ من غير مصدات ، فما معنى الامتثال النَمطي لنماذج غير نمطيَة وما معنى التَداعيَات المألوفة لموجه حداثي غير مألوف ؟

ونبدأ مع تجربة الثَمانينات الشَعريَة العراقيَة بالدَخول الحقيقي في مرحلة التَأسيس (التَطبيقي) الجاد لقصيدة النَثر العراقيَة .. حيث بدأت المقتربات الحداثيَة النَظريَة تشقَ مجراها بنفسها على نحو يؤكَد استقلاليَتها الخلافيَة عن الأنواع الأدبيَة الأخرى أوَلا وطبيعتها الخلافيَة ذاتها مع الركائز أو القوانين العامَة المشتركةثانيا ، وقد عبر أنسي الحاج في مقدَمةديوانه (لن) عن هذه الخصوصيَة قائلا : ((ليس لقصيدة النَثر قانون أبدي))(19)

ونستطيع القول إنَ تجربة الثَمانينات الشَعريَة قد قبلت بالمغامرة التَحديثيَة إلى آخرها (الأخرهنا حدَ آنيَ ومن هنا فهو نسبي) وإنَها اجتازت ظلال صوتها الأوَل وبوابتها المشبوهة بالمستوى الفكري والسياسي (مجلة شعر) كماأنَها حبل التَفكير بمواقف الرَضا والرَفض ولم تمتثل لتعالي أصوات الرَفض .

ولا سيَما إنَها تحاول أن تقترب منها اقترابا حقيقيَ بقناعة ، مدركة أنَ مشكلة البدايات أبدا.. رفض وإنكار .. فبدأ مع منتصف الثَمانينات ، وتكامل مع قصيدة التَسعينات ، طرح المشروع (الكياني) لقصيدة النَثر في الأفق الشَعري العراقي ، بانعطافة حادَة مقصودة ومفارقة للمناحي الرَجراجة السَابقة المحاذية لنماذج قصيدة النَثر الفرنسيَة الَتي دعت إليها مجلّة (شعر) وأمثلتها الأنكلوسكسونيَة، فأصبحت حركة منبثقة بالفعل ومجسَدة في تجارب مكرَسة لها لا تجريبيَة عابرة .

الملامح الأسلوبيَة المهيمنة في قصيدة النَثرالعراقيَة :

استطاعت قصيدة النَثر بسبب خصائصها(المركزيَة) أن تهرب خيوط الإمساك

بمرتكزاتها القارّة ، فليس لها قانون أبدي فهي تعيد النّظر في ذاتها الشعريّة مع كلّ تجربة خارج المعياريّة والقيد ، ومع هذا كلّه نستطيع أن نومئ إلى بعض ملامحها المشتركة الظّاهرة ، وسط أسلوبها الشّديد المرونة والفرديّة ، منهااستثمار عنصر المفارقة (الفجوة) بأبعاد ومستويات (انزياحيّة) متغايرة في الجانبين اللّغوي والدّلالي على وجه الخصوص ، والملمح الأخر استخدام تقنيات النّثر المباشرة (الطّريقة البحثيّة : المداخل ـ التّعريفات ـ المصادر) وماعانته في هذا الملمح من فقدان الكثافة والوحدة والتّركيز المطلوبة شعريًا بالسّقوط مع بعض تجاربها في فخّ النّثريّة المجرّدة بالاستطالات والزّوائد السّرديّة في الوصف والحوار، وما واجهته كذلك من انفصام عرى الارتباط الموحّد بين ما هو شعري وما هو نثري وبقاء الشّعر شعرا والنّثر نثرا داخل نسيج القصيدة الواحدة ، ومنها أيضا أي الملامح تهريب المركزيّة في التّعبير والعودة إلى القصيدة الميتافيزيقيّة (قصيد الرّؤيا) في فضاء خيالي مفتوح يناسب رؤية الفانتازيا واختلاط الرّؤى والأصوات والملمح البارز المتمثّل في استثمار العنصر الكتابي أو سطح الورقة بتقنيات الكتابة المتباينة : (علامات التّرقيم) ـ البياض ـ عدد الأسطر ـ تفتيت حروف الكلمات) في البناء الشّعري لخلق مستويات دلاليّة مخالفة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يخفى أنّ هذاكلّه يتمّ في فضاء ستراتيج شعري تعويضي يحلّ محلّ غياب المرتكز الوزني ، الخاصيّة الأبرز للشّعر ، والتّعويض عنه بسيمياء التحرّر الدّلالي ومغادرة الأطر السّالكة في التّعبير للعشور على (أساليب التّحفيز المضاعف) خارج حدود المعياريّة وبما يسعى إليه كلّ نصّ على حدة .

ونكاد لا نستثني شاعرا من شعراء قصيدة النّثر لم يتبدّد قسم من هذه الملامح في كتابته على نحو متفاوت يجعلها تارة ملمحا أسلوبيًا وأخرى عيبا بما يناسب فلسفتها أي قصيدة النّثر في نبذ القيد ونسف القاعدة والمعيار .

ويمتثل حشد غير قليل من شعراء قصيدة النّثر لنمط الكتابةالمفتوح(قصيدة النصّ) إذعانا للدّعوة المحليّة الفرنسيّة الّتي ظهرت في السّتينات في جذورها الأولى المنسجمة مع طبيعة الكتابة الحديثة الّتي أذابت الحدود والاشتراطات الّتي وضعتها نظريّة الأدب للخصائص النّوعيّة والأجناسيّة للأدب ضمن ما عرف في

النَقد الحديث بالتَناص أو التَداخل بين النَصوص المتباينة ليصبح النصّ الواحد فسيفساء من نصوص مختلفة مظهرا من مظاهر التَعالق النصّي في نسيج حواري قائم على تعدّد الأصوات الأسلوبيّة والمعرفيّة في الأدب .

ولعلّ الهدف الأعلق بقصيدة النَثر الكامن وراء هذا الضَرب من الكتابةعند كتابتها يتمثّل في السَير بالكتابة الإبداعيّة إلى حدودها غير المرئيّة والقبول بشوط الحداثة إلى (لا منتهاه) وإدراك المدى التَجريبي المفتوح الّذي تتيحه حالة الانفتاح والتنوّع والتعدّد بين الأجناس الأدبيّة بماياغم بين الأجناس الأدبيّة المختلفة : شعر ، رواية ، مسرح ، قصّة ، سينما ... الخ بل العلوم الإنسانيّة المختلفة في بعد معرفي آخر : التّاريخ ، الاقتصاد ، الفلسفة ، الجفرافيّة ، التّكنولوجيا ، الخ على نحو لا يقدّم نصّا واحدا بل نصّا متعدّدا في وحدته ، واحدا في تنوّعه . وظهور ما يمكن تسميته بـ(النصّ المعرفي المفتوح) .

وأظهرت قصيدة النَثر العراقيّة في انفتاحها الأجناسي ـ المعرفي هذا تجليّات مختلفة قد يفيد منها الشّاعر إفادة جزئيّة لتعدّد تنويعات تقنية وفنيّة داخل نسيج القصيدة البنائي ..تبقى على خاصيّتها الموسيقيّة متمثّلة بشكل إيقاعي مرئي أوغير مرئي قائم على تناظرات لغويّة وصياغة متباينة في محاولة لتفعيل الإيقاع الدّاخلي تعويضا عن غياب الإيقاع الخارجي المتمثّل بالوزن . أو أن يكرّس الشّاعر قصيدته الجديدة لتمتثل للبعد الدّلالي بمظاهره المختلفة والطّيران بجناح الشّعر الدّلالي الّذي كان أوّل من دعا إليه وروّج له أدونيس وأنسي الحاج في قصيدة النَثر الشّرقيّة .

وبعد أن وقفنا عند الملامح الشعريّة لقصيدة النَثر العراقيّة (الثّمانينيّة والتّسعينيّة) على نحو عام، نجد أنفسنا قد حدّدنا أمرين رئيسيين : الأوّل هو إنّ قصيدة النَثر العراقيّة التّسعينيّة على وجه التّحديد / قد تجاوزت زمنيّا وفنيّا مرحلة الرّفض والقبول غير مستجيبة لعقدة الرّفض الّتي عانت من بقايا قصيدة النَثر الثّمانينيّة للأسباب الّتي مرّ ذكرها أمّا الأمر الثّاني فيقرّر بأنّ المشروع الكياني لقصيدة النَثر العراقيّة قد تحرّك في أشكال وملامح شعريّة حديثة تتناغم مع مظاهر قصيدة النَثر العالميّة تخضع للمرونة الأسلوبيّة العالية (ولستراتيج التّفعيل الدّلالي) في التّعويض عن انفراط العقد النّغمي الّتي تتمتّع الكتابة الشّعريّة الحديثة

بهاووجود قانون فنّي ضاغط لا يتعارض مع مبدأ كراهة القيد ونبذ القانون يتمثّل في المبدأ الشّعري الّذي وضعته سوزان برنار لكتاب قصيدة النّثر وهو الوحدة أو العالم المكتمل ، والمجانيّة أو مركزيّة القصد الشّعري والامتلاء به والتّركيز أو التّكثيف.

إنّ المشروع الكياني له ترجم شعريّافي كتابة قصيدة النصّ عوضا عن المصطلح القديم قصيدة النّثر الّذي أثار تداوليّا الخلاف الاصطلاحي الّذي مرّذكره وتمثّلت فيه أي المصطلح الحديث الرّؤية العصريّة للشّعر الحديث الّتي يمتزج فيهاالذّاتي بالموضوعي والشّعري بالمعرفي في عمليّة تماه مطلقة يصعب معها الدّخول في إشكاليّة الفرز المنظور لما هو مجرّد داخل النصّ لمرتكباته الشعريّة أو المعرفيّة في صياغة قصيدة تأمّل واستبطان تناظر بين مركبّاتها المختلفة بعيدا عن الصّور البرّاقة، والحذف البلاغي وصيغ الاستعمال ، والتّناغم الموسيقي أو الإيقاعي لتخلف تناغما جديدا هو التّناغم الشّعري ـ المعرفي لتعوّض به عن انفراط العقد النّغمي .

وترمي هذه النّصوص ، في مقاصدها الإبداعيّة ، إلى أن تنمو في ذهن متلقّيها نموّا انشطاريّا (حرّا)لا يحول وجهه صوب الخصائص الإجناسيّة الّتي بلورتها نظريّة الأدب عامّة وموروث الشّعريّة العربيّة خاصّة ، وتناص النّوع الشّعري فحسب ، إنّ مقترح الحداثة فيها قائم على قراءة للمتراكم الإبداعي قراءة شعريّة معرفيّة ـ نقديّة قائمة على التمثّل المتأنّي لا (الابتلاع) المتعجّل) ، وإعادة الإنتاج على نحو يستبطن المؤثّرات المباشرة وغير المباشرة ويستجيب إلى الوتائر الحواريّة الإنفتاحيّة للعصر، وصياغة مستويات أسلوبيّة صادمة لأفق التوقّع القرائيّة المعهودة السّابقة.

ويرى كثير من النقّاد أنّ قصيدة النّثر العربيّة ـ والعراقيّة منها ـ لم تغادر مرحلة النيّات والتّبشير بوعود الحداثة وأنّها غالبا ما سقطت في نار الفوضى والتّجريد خارج جنّة الموزونات (20) .

وكردّ فعل معاكس تعالت أصوات الاستنكارمن لدن شعراء قصيدة النّثر العراقيّة الحديثة تطالب النّقد والنقّاد بأن يفردا لهامكانامميّزا بوصفها رهان الحداثة الأبرز القائم على الطّيران الشّعري المتفرّد خارج سرب القوانين الضّاغطة ؟!

وجرى طلع الدّواوين الصّغيرة في محاولة جميلة لمحاصرة الحصار وكثرت

القصائد حدّ التّخمة الفاضحة الّتي تشكّ بجديّة القصد الشّعري فيها وسط هذاالكمّ من الشّعر والشّعراء .

وبذلك وقفنا على أرض الحيرة الرّجراجة الّتي تغيب آليّة الفرز النّاصعة ، وتتضبب اللّوحة النقديّة بغياب المشروع الشّعري المنظور القائم على القصد الشّعري والامتلاء به ،والوعي الحاد بدرجات السّلم الشّعري ، وبمركّباته الشّعريّة أوالمعرفيّة ،وأصبحت الوصفة الشعريّة الأمثل (الصّناعة) قصيدة نثر في سبعة أيّام وبدون معلم هي وصفة المفارقة والنّكتة السّوداء ، وتوحد المفهوم الشّعري المرن المتفتّح لديهم بها ، وسقطت التّجارب في معياريّة من نوع آسر قاتم متمثّل في فخّ المفارقة.

ولا يعني هذا أنّنا نشطب بجرة قلم متعجّلة على نتاج شعراء قصيدة النّثر العراقيّة ولكن ، واستعير هنا قول صلاح فضل ، أنّ على شعرائها الحدّ من الاندفاع الوحيد نحوها وكأنّها طوق النّجاة التيّارات التّجريب الطّليعي ونزوعها الثّوري الهدّام فيما يشبه جنوح الحداثة (21) .

وعليهم أيضا الوعي بستراتيجيّتها الشعريّة القائلة بحتميّة القدرة على اقتناص الشّكل الشّعري وامتلاك فاعليّة البناء بجناح الشّعر الدّلالي الذي يصنعه نسيج اللّغة الشعريّة ، وتكشف عنه القراءة النقديّة الحديثة الممثّلة بالوصف الحرّ والنّابذةلروح المعيار ، فالأفكار النّظريّة حتّى ولو كانت شعريّة تبقى محلّقة في فراغ ما لم يجلسها الشّعر على عرشه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشّعر العراقي الآن :

وتبقى المعالجة النّظريّة تسبح في قلق التّجسيد والصّيرورة ويصعب ونحن نحاور النيات مراجعتها في قصيدة نثر دون أخرى للأسباب الّتي تتعلّق بانويتها العالية، وانفلاتها من القولبة والمعيار من جهة ، ولتعارض التّمثيل والتّطبيق مع فكرة الاختبار العشوائي للعيّنة المدروسة كما قد يتبدّى ، من جهة أخرى ولا سيّما ونحن افترضنا معامل ثبات في الملامح المرصودة .

ولكنّ للتّطبيق شهوته الّتي تعسر مقاومتها ، ولا بأس في أن نقف وقفات تطبيقيّة مع (الشّعر العراقي الآن) المجموعة الّتي صدرت عام 1998 لتضمّ مجموعة مختارة من أمثلة قصائد النّثر التّسعينيّة وصفها مقدّمها (فرج الحطاب .

وعباس اليوسفي) بأنها تجربة هؤلا ، الشعرا ، في سنوات التسعينات ، التجربة الجديدة في مجمل مدياتها بدءا من الكتابة وإنتهاء ، بأصدار معظمهم لدواوين صغيرة بأمكانيَة طباعيَة بسيطة ، وهي تجربة لم يمارسها أحد غيرهم في أيّ وقت مضى وهي محاولة لممارسة الحرّية على تعبيره وأصحابها ليسوا شعراء فقط بل محاربون أيضا شعراء يقفون في خنادق الشعر يواجهون سيولا لا تنتهي من الغزاة،(٢٢) الحصار وإفرازاته ، الذهول ، التحديّات .... ماذا فعلوا في حروبهم، كيف سلكوا في مواجهاتهم ؟

وفي هذا الكتاب (١٢٧) : شعراء يقدّمون ظلاً لتجربتهم وليس تجربة كاملة سنقفعند أولى قصائد هذه المجموعة وهي قصيدة فرج الحطاب (خلاصات) تقوم هذه القصيدة في شعريّتها على لعبة التعريفات النثريّة ذات السّمت المنطقي إذ تقوم الإسنادات فيها بين الدوال والمدلولات على التضايف بين المجرّد والمحسوس :

العمق ينحني، يتوغّل ...إلخ على نحو يشي بانفلات المراكز الدلاليّة وقيام القصيدة على الإنثيالات المتوالدة في تغلغل كلي أشبه بالمونولوج المروي الطويل :

ما هذا الجوهر :

ما هذا العمق :

إنّه ينحني

ونحن بحاجة للقيام

وتبدو الخلاصات في هذه القصيدة وكأنّها تعريفات مجرّدة مقصودة لذاتها مما يتطابق مع شيوع هذه الظاهرة في قصيدة النّثر التي تحاول ترسيخ الجذر الدلالي على نحو مبالغ فيه قد يفقت في شعريّة القصيدة ، إذ سرعان ما يفتح النّص ذراعيه في (خلاصاته) للمفارقة القائمة على شعريّة (الإقحام) التي تحاول حصر عناصر غير متجانسة في بنية يفترض أن تقوم شعريتها على التجانس والكلّ العنصري الموّحد طبقا لقانون قصيدة النّثر الرئيسي الذي وضعته سوزان برنار ، ولننظر الى تشكيل هذه المفارقات الإقحاميّة :

الهواء يستقبل باصات مهدّمة

لا يشبه الملوك

الملوك لا يشبهون أحدا

لماذا نحتاج ملوكا

العدم ينمو كبكتريا

كمشهد يتكرّر

فما الذي يجمع بين هذه الدوال ومدلولاتها سوى الرّغبة في الإدهاش ، وخلق الفجوات المنطقيّة ، وتكريس القصد الدلالي المحض ؟

ويمعن النّص في تسييج نفسه برباط المفارقة الثقيلة في خاتمته إذ يقول :

وكأنّنا الإنقراض

يفتضّ

خلاصة ...

الألم ...

فكيف للإنقراض وهو (عدم) أنّ يفتضّ خلاصه الألم (وهو قمّة الإحساس بالحياة) إلا بوصفها ـ أي المفارقة واحدة من تنويعات قصيدة النثر التي تسعى من خلالها الى معانقة الأضداد ، وقد تمّ في هذه الصورة تحويل الحسّي الى مجرّد

كأنّنا = نحن : مادي ـ حي

الإنقراض = معنوي ـ مجرد

مما يشكّل صورة مقلوبة .

وتتمثّل في نصوص (سليمان جوني) علاقات الإسناد التغريبيّة التي تخلقها المفارقة السّاخرة ، ولا يخفي الرابط بينهما أيّ بين المفارقة والسخرية إذ أنّ المفارقة هيّ المصطلح الحديث لها وإن كانت أشمل منها .

وفي نص (تغيير) تكون المفارقة مبنيّة على النكتة السوداء ، فيرصد هذا النص القصير حالتين أو مرحلتين تمثّلان قطبي الدلالة يحدث فيهما التغيير ، وبذلك تتطابق دلالة النّص مع دلالة العنوان (تغيير) وهو مايسعى الى إثباته النّص الحديث في التشكيل و النّقد الحديث في التأويل .

الحالة الأولى التي يرصدها النّص هيّ حالة ما قبل الحرب التي تمثّلها الأسطر الآتيّة في علاقات تغريبيّة واضحة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ماضي أمي ـــــ زقورة
كنت أرى أبي ـــــ هرما
أمي زقورة اخوتي ـــــ رياضيّات أو
وأبي هرما
وإخوتي رياضيّات
أو
١+١

ولكن لا يصعب مع هذه العلاقات (التجريديّة ـ الحسيّة) التأويل إذا ما إنتقلنا الى الجزء الآخر من النّص الذي يفتح بالمستند اللّساني الزّمني أو الظرفي (عندما) :

عندما أكلتني الحرب بفمها الأدرد
تغيّر كلّ شيء

ولا شك أنّ إختيار وصف (الأدرد) للفم ـ فم الحرب جاء رغبة في تكريس دلالة (الإبتلاع) غير المتأتي أو المتسرّع الذي تمارسه الحرب على نحو خاطف وعشوائي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرصد النّص حالات وتحوّل في ظاهرة من سطح النّص وقعت في جزئه الثاني

الحالة الأولى	الحالة الثانية
وكانت زقورة	أمي صارت مقبرة
وكان هرما	أبي مدفعا
كانواأرقاما	إخوتي مصائد مغفّلين

ولا شكّ في أنّ الرّبط إقتضاه التحليل ، إنّ السطح الظاهر البنية للنّص يفصح عن تحوّل مظاهر الحياة الى موت ،وتماهي مفردات الحرب مع مفردات الحياة ولكن بتأمل بسيط لتشبيهات الحالة الأولى نجد أنها تتضمّن دلالات الموت والغياب أيضا (الزقّورة ، الهرم ، الأرقام المجرّدة) .

وجاء توظيف النّص للعبة الأرقام ليس مجرّدا أو شكليّا (١+١) أو تشبيها محضا (إخوتي رياضيات) بل للتدليل على أنّ البشر في حالتي النّص ليسوا

سوى أرقام متراكمة مجرّدة .

ويمعن النّص في توصيف حالة الأسى التي تخلقها الحرب حين تقذف بالمبتلين بها من قلب الحياة (جسد الباص) أو الحياة اليوميّة المتدفّقة المواراة بالحياة إلى (فم الأسد) والغياب في جوفه ، مما يخلف حالة توافق دلالي بين الحالتين المرصودتين تتجسّد في دلالة العدم الأمر الذي يسمح لنا ، والى حدّ ما ، القول بمغازلة أو مداعبة البعد الأنتولوجي أو الجوهري في الحياة وإبداعه تحت سطح النّص.

إنّ كثيرا من النصوص التي ضمتها هذه المجموعة تتطلّب التوقّف عندها ولكنّنا نجدها تتماثل في القسمات الأسلوبيّة التي مرّ ذكرها حتى يسهل إختيار مقاطع مجزّأة من القصائد من دون أن يؤثّر كثيرا في إستشفاف طبيعة الظواهر المراد رصدها وإن كان هذا الإجراء يختلف مع منهجيّتها التي تقتضي إيرادها كاملة ومن أمثلة المفارقة ذات السّمت الساخر ما نجده في نص (إجراءات الخدمة) لحسين علي يونس ومثلها قصائد عبد الأمير جرص (دقائق مغشوشة) ومن النّص الأول نختار ما يأتي :

أثناء خدمتي العسكريّة
صفعت (٦) مرّات
خلال عامين
والمرّة السابعة حين أوشكت
أن أدخل الثلاثين
صفعني شرطي في السابعة عشرة من عمره
لأنّ لأنفي صاريّة
ولعيوني أجنّة لم تعجبه

والسؤال الذي ينبغي طرحه ما الذي يتبقّى من هذه النصوص متى ما رفعنا بنية المفارقة منها وعلى ماذا ستتكئ شعريتها ؟

ونجد أنّ ثيمة الحرب تتخذ أكثر من شكل تعبيري وكتابي في قصائد هذه المجموعة مما يخرجها أي قصيدة النثر ، من مبدئها الشعري القائم على المحايثة أو الإمتلاء بالقصد الشّعري ومغادرته الى البعد السياقي المباشر في التوظيف الدلالي

وتتماهى في كثير من قصائد المجموعة مفردات الحرب مع مفردات الشخصيّة، رصدنا بعضها . ومنها أيضا ما ينوء به نص (صورة قيد) لسليمان داود محمّد .

- عمري ٣٧ شظيّة واس يتكرّر .....
- في تمام الهدنة ظهرا .....
- أوصافي حشود تلوّح وطحين أعمى .
- لست كما تدّعي الثكنات .....

وتستطيع القصائد ذات النّمط السردي أن تنفتح على مسارب شعريّة أكثر ثراء وإمتلاء ، وينفسح المجال لتمثّل مظاهر شعريّة قصيدة النّثر وإستيعاب إستراتيجيّتها القائمة على تفعيل البعد الدّلالي ورسم المظاهر الدلاليّة المتضادّة ، ووجدنا هذا النّمط يتمثّل على نحو بسيط في قصيدتين ضمّتهما المجموعة الأولى هيّ قصيدة (أفعل ما يحلو لك) لعبد الخالق كيطان والأخرى (جرائم شخصيّة جدا) لمحمّد غازي .

وفيما عدا ذلك كان ما يدفع قصائد المجموعة هو تقنيّة المفارقة ، وفرض مفردات الصورة على أكثر من حقل دلالي متصادم كصوت وصدى مما أفضى ، غالبا الى هجنة اللّغة التي تنتجها أقطاب النسيج البنائي المتعارضة ، وعلاقات الإسناد التغريبيّة ما بين ماديّة وتجريديّة على نحو يقذف بالمفارقة من كونها شكلا الى عدّها موضوعا .

الإحالات :

(١) ينظر : نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ط ١، بيروت ١٩٦٢، ص١٨٣ وما بعدها ، وينظر : صفاء خلوصي : فنّ التقطيع الشّعري والقافيّة ، ط ٦، دار الشؤون الثقافيّة ،بغداد ١٦٨٧ ، ص ٤٠٦ وما بعدها .

(٢) أدونيس : سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥، ص٧٦، وينظر له أيضا : قصيدة النّثر كما يراها أدونيس : مقابلة معه أجراها الناقد فخري صالح ونشرتها مجلّة أسفار ، ع١٦ ،بغداد ١٩٩٣ ،ص٧٢ .

ويرى بعض الدّارسين أنّ بعض أسفار العهد القديم ، كسفر التكوين ، على وجه الخصوص تشكّل الجذور القديمة لهذه الكتابة الشعريّة : خالد سليمان : دراسة في قصيدة النّثر العربيّة ، مجلّة الأديب المعاصر ، ع ٤١ خاص بقصيدة النّثر ، بغداد ١٩٩٠ ، ص ٧٦ .

(٣) ينظر أدونيس ، سياسة الشّعر ، ص ١١.

(٤) ينظر : د: خالد سليمان ، الأديب المعاصر العدد الخاص بقصيدة النّثر ، ص٥٩ وما بعدها .

(٥) ينظر : د : عبد الستار جواد : قصيدة النثر في الأدب الأنجليزي ، الأديب المعاصر ، العدد نفسه ص٤٦ .

(٦) ينظر : منح خوري: شعر النّثر تحولات جذريّة في الشعر العربيالمعاصر ، الأديب المعاصر ، العددنفسه ، ص٣٨ وما بعدها ، وينظر خالد سليمان ، ص٥٩ وما بعدها ، وحاتم الصكر : قصيدة النّثر والإحتمالات المؤجّلة ، العدد نفسه ،ص١١٠وص١١٦ .

(٧) ينظر : مجلّة شعر مجلّد ٤، ع١٤، ١٩٦٠،وانسي الحاج : مقدمة ديوان (لن) ،المؤسسة العربية للدراسات والنّشر ، بيروت ط٢، ص٢٠ وسامي مهدي : أفق الحداثة وحداثة النمط ،دراسة في مجلّة (شعر) بيئة ومشروعا ، بغداد١٩٨٨ .

(٨) ينظر : د . علي جواد الطاهر ، من يفرك الصدأ ، ط١ بغداد ١٩٨٨، الصكر : قصيدة النّثر في النقد العراقي المعاصر ،الأقلام ، ع٦ بغداد١٩٨٩، ص ٥٥.

(٩) يرى حاتم الصكر أن الشعر العربي خلافا للشعر العالمي يقدّم دورة غريبة تبدأ بالشعر المقيّد فالمنثور ثم الشعر الحر ، بينما تشهد حركات التحديث في العالم نموا آخر يبدأ بالمقيّد فالحر ثم المنثور ، ينظر : الأقلام ،العدد نفسه ، ص ٤١ .

(١٠) د. خالد سليمان : دراسة في قصيدة النّثر العربيّة ، العدد نفسه ص ٦٢.

(١١) سوزان برنار : جمالية قصيدة النثر العربية ، ترجمة : زهيّر مغامس ، سلسلة بحوث مترجمة ،بغداد ، ص ٦ وما بعدها .

(١٢) حاتم الصكر : قصيدة النّثر في النقد العراقي المعاصر ،الأقلام العدد نفسه ، ص ٤٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٣) سامي مهدي : أفق الحداثة وحداثة النمط ، دراسة في مجلّة شعر بينة ومشروعا ،بغداد١٩٨٨ .

(١٤) ينظر : الصكر الأقلام ، العدد نفسه ص٤٢ وما بعدها . وينظر للتفصيل في القضيّة التحديثيّة لمجلّة شعر وخصوصيّتها الفنيّة : د. محمّد جمال باروت : الحداثة الأولى ، منشورات إتحاد كتاب وأدباء الإمارات ،ط ١ ١٩٩١ .

(١٥) ينظر : فخري صالح ،قصيدةالنثر العربيّة بحثا عن معيار للشعريّة ، الأديب المعاصر العدد نفسه ،ص١٠٢.

(١٦) نفسه ،ص ١٠٣ .

(١٧) ينظر : جان كوهين :بنية اللّغة الشعرية ،ترجمة محمّد الولي ومحمّد العمري ،المغرب ص٥٢ وما بعدها .

(١٨) كمال خيربك : حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ،ط١ ، ١٩٨٢،ص ٢٨٦ .

(١٩) انسى الحاج: مقدمة ديوان (لن)، ص ٢٠ .

(٢٠) ينظر :د. صلاح فضل : اساليب الشعريّة المعاصرة ،دار الآداب ،بيروت ١٩٩٥،ص٢١٧ .

(٢١) المصدر نفسه

(٢٢) ينظر: في النماذج المدروسة :الشعر العراقي الآن ، إعداد وتقديم عبّاس اليوسفي وفرج الحطّاب ،ط١/ بغداد ١٩٩٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب جديد

«قليبية مدينة تروي قصّة التّاريخ»

بقلم : سليمان بوعفيف

يحقّ لمدينة قليبية عروس الوطن القبلي ، مدينة الجمال كما تنعت بأن تفاخر وتفتخر بما يكتب عنها من بحوث ودراسات بما يوثق تاريخها ويعرّف المهتمّين بها وبمعالمها وحضارتها التّراثيّة . في هذا الإطار أصدر ومنذ شهر ابنها البارّ المؤرّخ والأديب والكاتب محمّد الصّادق عبد اللّطيف ، وعلى نفقته الخاصّة ثاني إنتاجه التّاريخي كتاب (قليبية مدينة تروي قصّة التّاريخ) والّذي أراد به دخول عالم المؤرّخين من خلال ما عرضه من وثائق وما تفحّص منها وما آستخلصه من الرّواية الشّفويّة لتلك الذّاكرة وما حفلت به من حقائق ووقائع وطرائف ، وهو الّذي قضّى ربع قرن باحثا ومنقّبا وكاتبا لفصول متعدّدة في الصّحافة التّونسيّة وفيس المجلاّت الشّرقيّة معرّفا بمدينة قليبية وبأهلها ، وداعيا المختصّين إلى لفتة حضاريّة من أجل كتابة التّاريخ المحلّي لهذه المدينة . وها هو اليوم يقدم على مغامرة تاريخيّة باصدار هذا المؤلّف المهمّ والمفيد والمرجعي أيضا ، وهو كتابة الثّاني عن مدينة قليبية الزّاهرة تصحبك فصول الكتاب بين الطّرح التّاريخي لمدينة قليبية على مرّ العصور وبين مختلف المحطّات من ثقافة وآداب وفنون وتراث ومعالم وأعلام .

فاذا نحن ننتقل من خلال صفحات هذا الكتاب ـ الكنز ـ بين حالة قليبية في العهد الإسلامي ككلّ ثمّ فرّع بحوثه إلى مختلف الحقب والمحطّات التّاريخيّة في خمس محاور رئيسيّة تحتها :

1 ـ المراحل والمكوّنات التّآريخيّة لقليبية .

2 ـ المعطى الإجتماعي لمدينة قليبية.

3 ـ المظاهر الأدبيّة .

4 ـ من تراجم وأعلام قليبية.

5 ـ ملحقات ووثائق (في 192 صفحة من الحجم المتوسّط) .

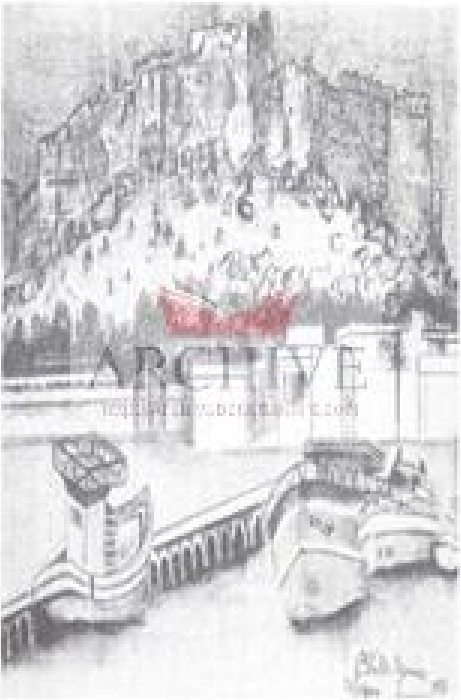
* صور وثّقها الباحث النّشيط محمّد الصّادق عبد اللّطيف بالوثيقة الأصليّة وأضفى عليها من روحه البحثيّة ما جعلها سهلة التّناول مفيدة ومهمّة أيضا ، ولا غرابة فالباحث عبد اللّطيف عرف عنه ارتياد مسالك البحث والحضور الأكاديمي خارج تونس وداخلها ، مشاركا في ندوات عربيّة في المغرب والعراق والأردن وتونس، وكذلك إسهامه العلمي في دائرة المعارف التّونسيّة ببحوث تزيّن الثّقافة التّونسيّة ، وأخيرا مساهمته في الموسوعة التّونسيّة ببحوث أحدها عن قليبية المدينة الّتي عشقها حتّى النّخاع . إنّه بكتابه الجديد هذاحول قليبية على مرّ العصور توسّع في الحقب التّاريخيّة والمعالم الحضاريّة والتّراجم المهمّة كاشفا وموثّقاودارسا. ولا شكّ أنّ هذا المولود يكمّل ما نشره سابقا في هذا الكتاب ، فيحقق بعمليه (المتعة والإفادة والتّدوين).

لقد لقي كتابه الأوّل (إطلالة على تاريخ قليبية في العهد الحسيني)الصّدى الطيّب محليّا ووطنيّا وعربيّا ، ووصل إلى جلّ العائلات هنا بقليبية وقدّم هدايا وجوائز للتّلاميذ وتحدّثت عنه الصّحف (الحريّة، الصّباح ، ومجلّة شمس الجنوب والإتحاف وإبلا) وكذلك الإذاعات الجهويّة (الكاف ، صفاقس والإذاعة الوطنيّة في حصّة (كتاب) ، وكان موضوع المسابقة المحلّي .

وقد بلغ في هذا الكتاب الغاية من حيث إحكام المنهج العلمي والتّرتيب المنطقي للبحث والدقّة فيه والتماس الحقائق من أصولها ومظانّها الأولى ما وسعه ذلك ، وتوثيق الرّأي الّذي يسوقه ، وهوبهذا يعدّ المرجع الأوّل للباحثين في تاريخ قليبية إلى الحقبة الّتي إنتهى إليها .

إنّ هذاالوليد الثّاني للباحث عبد اللّطيف ، سيزيد المدينة إشعاعا وتألّقا (كتاب سنة 98 وكتاب آخر سنة 99) وسيكون مرجعا أساسيّا للباحثين والدّارسين والهاوين عموما خاصّة والذّاكرة الحاضرة غير مهيّأة لحفظ التّاريخ المحلّي والحفاظ عليه ، وحسب علمي فانّ قليبية الّتي حظيت بثلاث كتب على مستوى الولاية والوطن ، لم نجد في الولاية طبعا من المدن قد حصل على هذا التّكريم ، عدا منزل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تميم والحسّامات بكتاب واحد عن كلّ منهما . وما قيل حول الكتاب وما كتب عنه في الصّحافة الوطنيّة (الصّباح ، ملحق الحريّة ، الأخبار) يظهر أهميّة هذا الكتاب المرجعي ، رغم النّقد الموجّه لمؤلّفه حول التوسّع في التّراجم الأحيا ، من أبنا ، قليبية وقد اقتصر الكتاب على التّعريف بالأموات ممّنتركوا بصماتهم في الحياة الإجتماعيّة أو الأدبيّة أو العلميّة أو التّربويّة لا غير ، وقد ابتعد صاحبنا عن تكرار التّراجم لمن ترجم له في كتاب ابن عمّه السيّد عبد الرّحمان عبد اللّطيف ، تبقى الأغلاط الكثيرة الواردة في متن الكتاب يمكن تداركها في الطّبعة المقبلة ، إذا صحّ ذلك مع إعطا ، الصّور حقّهافي الوضوح واللّون .

إنّي كقارئ ، أشدّ على يد الباحث (عبد اللّطيف)وأدعوه لمزيد العطا ، والإنتاج لخدمةالثّقافة التّونسيّة وإشعاعها محليّا وعربيّا ، سوا ، بالدّراسات التّاريخيّة المختصّة ، أو الجماليّات والفنون ، وأخصّها الخطّ العربي وآدابه وجماله ، كما عرف عنه من خلال ما ينشره في ملحق الحريّة ، أو ما يشارك به في ندوات عربيّة .

و« قليبية » اليوم لمّا يكتب تاريخهافي مختلف العصور ، ويقع التّعريف بمعالمها وحضارتها وتراثها والتّرجمة لبعض رجالاتها ، فانّهاتكسب مرجعا يبعدها عن الضّياع والتّهميش ، وكثيراما يتعرّض الباحثون إلى شبه التّعتيم لعدم وجود دراسة مرجعيّة كافية تشفي الغليل وطلبتنا غالبا ما يصابون بالإحباط حين يبحثون عن بلادهم في كتب متعدّدة فلا يجدونها .

ولعلّ هذا الكتاب الجديد ، وما يتبعه من كتب أخرى تكون قليبية قد كسبت مراجع . إنّه الأمل قد تحقّق في نهايةهذا القرن ، وعلى العهد نتطلّع لبحوث أخرى ترقى إلى المستوى المطلوب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرسّامة يمينة العيوني

في ضيافة الإتحاف

التّراث الشّعبي هو جزء من ثقافتنا الوطنية

بقلم : منير بن يونس

* قبل البدء ذات خريف .

الساعة إنتصف فيها كأس الساهرين على نخب مرّ القلق ... الشارع طوفان من التوتر ...وطفل خانته السنون .. خرج يبحث عن صيناء لقوارب عمر تآكل ربيعه .. تتلاطم خطاه في الشارع المقفر ..إلاّ من الكلاب السانية ..والقطط المشردة..بهذي كشمل ضيّع بوصلة مداركه..في خانة النسيان..برهقه حمل الحضارات ..ويحرقه توهّج الجذور ..بهذي القتى بألفاظ متأثرة...هو أعجز في تلك اللحظات عن ترتيبها ..كانت الكلمات تنساب من شفتيه ..كتخميرة وجد صوفية..يبحث بها الطفل عن بوصلة لعتمة القلق ..يبحث عن إله أسطوري ..يصلب ـ يخنق ـ يرفس ـ ينتعل خطى التوتر فيه ...ياه....متعب هذا الطّفل ..متعب كالسّائرين على صراط كأس القلق الفائض من كأس العمر..الشارع في عقل المتخمّر أضيق من جحر فأر..وثرثرة الطّفل تحتاج لجبال الكرة الأرضية كي تستعيد توازنها ..تحتاج لمدينة بحجم جنوح الجنون ..لجاذبية تعيد إتّزان اقدامه على اليابسة ..الطّفل يبحث في كتب الأولين عن خرافة ..أو تعاويذا ..تعيد التوازن لوجده الثّمل ..سنوات من التّجديف ..سنوات من الإبحار خرافة وأساطير ..وواقع :.. لا ... لعنة الفنان على الواقع...) لعنة المصلوب أمام الباب الفاصل بين القوت والفن ..(ليت الفنان حجر .. ياليتكم معشر أطفال الفنّ حجر ..) الطفل يندثر ..كما لم يجي، ..كما هو طفل ضيفتنا ـ او كما أشتهي ـ مضيّفتنا ..اللون القاتم يحتاج إلى

إبحار أعمق ..وركح (المصفحات) ..وتحدّي الوردة لمخالب النسر ..والضفادع المكبّلة .. أعمال تحتاج (لجنون ..) أعمق..وكذلك (البانس)/ الطائر بكتاب البدء ..إنّه الوعي حتّى الخرافة ..إنّه الوعي حتّى الخرافة..

* التراث الشعبي التونسي :

مدينة تحتاج لكتاب خاص بالإبحار في ثناياها وإن كنّا دائما نحاول تلخيص أهم الشوارع في مدن فنّانينا ..إلاّ أنّنافي مدينة الحال ..قمنا بتلخيص التلخيص حتّى لا يأخذنا فضول النشر لأعمال جوانب أخرى من تجربة أخذت وقتها من النّضج شكلا ومضمونا ...ولا أظنّني أعني هنا غير تجربة الرّسامة يمينة العيّوني التي كان لأعمالها المعروضة أخيرا بفضاء الحمامات في إطار معرض "منتيلمار" الصدى الطيب والمكانة المرموقة ..لما حملته لوحاتها من ثراء فنّي.. جمع بين جمالية اللوحة ..كأداة جمالية ..وبين الطّرح الفني المتميّز للفكر التشكيلي ..من خلال دقّة إختيار الألوان..والرّؤى السريالية المعتمدة بذكاء فني حافظ على جمالية اللّوحة ومكّنها من معالجة مضامين إجتماعية وتراثيّة لها وقعها الخاص في الذاكرة الشعبية التونسية والعربية على غرار لوحة التّحيرة ، والعراف، والمصفّحات إلخ..

كما كان للمدن العتيقة والشكل المعماري والزخرف حضورها الخاص في لوحات يمينة العيوني تحدّهم المساجد والأسوار الأثريّة . هذا الحضور الخاص الذي تجاوزت به الرّسامة أولئك الذين يتعاملون مع هذا التراث وتلك المدن تعامل نبّاشي القبور الباحثون عن طاقم أسنان ذهبي . فالتّراث عند يمينة العيوني منبع إلهام لرؤى تشكيلية معاصرة .

* الحيوانات رموز داخل اللوحات :

لوحات يمينة العيوني لم تكن مستوحاة من الذاكرة الشعبية كعادات وتقاليد فقط ولا من المعمار العربي والإسلامي فحسب ..بل هناك جانب آخر مثّل محورا هاما في الإيحاءات التشكيلية لدى العيوني ألا وهو عالم الحيوان ..هذا العالم الذي شكّل منبعا لعديد اللّوحات في تجربة الرّسامة ..هذا الإهتمام الذي رأينا فيه إمدادا من مخزون فنّي سابق في مدوّنة التراث العربي أدبا وتشكيلا وما يوجد في كتاب كليلة ودمنة أو ما خلّفه الرّسام البدائي على جدران الكهوف خير شاهد على





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهمّية هذا العالم ..الذي لم تغفل عنه حساستنا وخصّصت له حيّزا هاما في لوحاته من عالم النمل الى عالم الضفادع مرورا بالنّحل والجراد.

* عقب معرض منتيلمار .. حوار حول التجربة :

هذه الجوانب التي أتينا عليها وجوانب أخرى من تجربة الرّسامة يمينة العيوني دفعتنا لمدّ الجسر بينها وبين أصدقاء الإتحاف في مصافحة قمنا بها معها عقب مشاركتها في معرض " منتيلمار " بمدينة الحمامات .. وقد تمّت دعوتها للمشاركة في هذا المعرض بمجموعة من لوحاتها الجديدة والتي إستطاعت أن تستحوذ على إعجاب زوار المعرض من مشاركين ونقّاد ومواكبين لعالم الفنون التشكيلية ..فماذا يمكن أن يعرف أصدقاء فضاء الفنون التّشكيلية عن هذه الرّسامة : وما هيّ أهم المحطات في مسيرتها الإبداعية : إلى جانب همومها ومشاغلها الفنّية في سياق هذه المصادفة ؟

*ماذا يمكن أن نعرف عن علاقة يمينة العيوني بالريشة والألوان :

. علاقة الفنّان بأدواته فعل الإبداع هي علاقته بالوجود . بل هي الوجود الذي يحيى لأجله . فكما الورقة والقلم عند الكاتب هما الأرض ..فاللوحة هي العالم الذي يسبح فيه الفنان..كل أيام الأسبوع أنا الفنان في لحظات البناء التشكيلي لأي أثر..أكون في قمة التّجلي مع الذات ..ولاأعي أي شيء مما يدور حولي .. ففي تلك اللحظات أنسى المكان والزّمان .. ولا أدري أكثر من قوّة أخرى تتحكّم في كلّ مداركي .. تقودني الى عالم آخر .. أراني (معتوهة) فيه..فضاء بلا حدود .. يجعلني أحلّق في سماء بلا منتهى .. وكأن هناك قوّة أخرى بداخله ..تربكني..تخضعني لمشيئتها ..وليس أمامي إلاّ الإستسلام لها..لحظات رغم القلق والإضطراب الذي تحمله تظلّ هي الأمتع في وجود طغت عليه المشاغل اليومية والضغوطات الإجتماعية .

* الملاحظة البارزة في لوحاتك إلتصاقها بالتراث الشعبي التونسي على غرار "التخميرة " . " المصفّحات " ، " العراف " إلخ..فهل هذا إختيار أم هناك أسباب أخرى ؟



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



. التراث الشعبي هو جزء من الثقافة الوطنية والذي لا يمكن الإستغنا ء عنه.. وما صمود الحضارة الصينية مثلا ..إلا بقوة إيمان الصيني سوا ء كان من العامة أو الخاصة بتراثه الشعبي في مختلف المجالات وضرورة المحافظة على مميزاته المتمثلة في عاداته وتقاليده وتشبعه بها..فالتراث الشعبي يبقى له الأثر العميق في نفوس الناس فكما (يؤرخ) الفنان التشكيلي للمدن العتيقة والجدران ولما خلفته الحضارات المتعاقبة من بنا ءات وزخارف .. ويحاول أن يستلهم منها مضامين أعماله ..فالعادات والتقاليد يمكن أن تكون مضامين هامة لأعمال تحافظ على أصالتها وتحاكي المذاهب المعاصرة فهي جزء منّا ولا يمكننا التنكّر لها .. خاصّة أنها حاضرة فينا دائما ..وأعتقد أنه قد حان الوقت للإبتعاد قليلا عن الجدران والمدن التي أصبحت عند البعض هي أشبه بالجمار القصير .

* إذا هل يمكن أن نعتبر هذا رؤية جديدة لمفهوم مدرسة تونسية تنطلق من الموروث الشعبي لتحاكي تطلّعات الإنسان المعاصر ؟

ـ وأنا أتعامل مع اللّوحة لا يكون في ذهني أكثر من هواجس وتطلّعات خاصة تنطلق من أعماق بيئة العبوني لتحاكي قلقا وجدانيًا قد يعسر التعبير عنه بعيدا عن الريشة والألوان ، قد ألتقى في هذه الهواجس وهذا القلق مع الآخر الذي هو الإنسان المعاصر ..وقد يرفضها شقا آخر ...لكن أحبينا ام كرهنا فتلك الأشيا ء هيّ جزء منّا وفينا...والحديث عن مفهوم مدرسة تونسية لها خصوصيتها بهذا التوجّه قد يكون سابقا لأوانه في الوقت الراهن...ولما لا. في المستقبل خاصة أن المشهد الإبداعي في بلادنا رحب ويتّسع لأكثر من توجه وفي الإختلاف يكمن الإبداع .

* ألا ترين أنك شحيحة معنا في إقامة المعارض خاصة أنك تمتلكين من الأعمال ما يجعل من تجربتك نموذجا يستحق الإهتمام من قبل النّقاد والوافدين للحركة التشكيلية في بلادنا .

. إنّ إقامة أي معرض جديد بالنسبة لي يعتبر مسؤولية تحتاج لتقديم الإضافة النوعية لتجربة الفّنان العارض .. لهذا قد أبدو شحيحا ..وأنا أخيّر ما يبدو للبعض شحًا على أن أسجّل حضوري بأعمال متكرّرة على حساب تجارب أخرى

تنتظر دورها في العرض ...فهل من جدوى في تنقّل معرض من قاعة إلى أخرى لا تفصل بينهما مئة متر في ظرف أربع وعشرين ساعة فقط .

* شهدت أعمالك في الفترة الأخيرة إهتماما إعلاميا ونقدي متميز على إثر مشاركتك في معرض منتيلمار بالحمامات ..فهل يعود ذلك لقيمة الحضور في هذه التظاهرة ..أم لقيمة الأعمال التي قدّمتها ؟

. قيمة هذه التّظاهرة لا يشكّ أحد فيها وفي الفنّانين الذين يؤثّثونها ...أمّا عن قيمة الأعمال التي ساهمت بها في هذه التّظاهرة فيحكم عليها من يحملون أمانة النقد ومسؤوليته ..وعلى كلّ فأنا أعتبر ما كتب حول لوحاتي سوا ء على هامش مشاركتي في معرض منتيلمار ..أو خلال مسيرتي ..حافزا لمزيد البحث والعطاء التشكيلي .

* قبل الختام ...من هنا وهناك :

. إبراهيم البهلولي الموسيقي والمصور الفوتوغرافي ..الذي نزل ضيفا على أصدقاء الإتحاف في إحدى أعدادها السابقة ..بمعرض مجموعة صوره الجديدة بقاعة علي القرماسي وقد أختار موضوع الحنّة والنقشة التونسية المتداولة في الأعراس ..

ونحن نحيّي فيه هذا المنحى التّوثيقي ونتمنّى أن يأخذ في معارضه القادمة التوثيق حسب خصائص كلّ ولاية لمثل هذه العادات ..حتى تساعد الباحثين والمختصين في مجال علم الإجتماع .

. في إطار الجائزة الكبرى للفنون التّشكيلية لمدينة تونس خصص المشرفون على هذه التّظاهرة الطابق السفلي لمتحف مدينة تونس للأعمال المرفوضة . وما يلفت للنّظر في هذه الحركة ...هو السؤال عن مقاييس الرفض والقبول ...في مجال الفن ..خاصة هذه الأعمال المرفوضة بينها لوحات تجاوز بها أصحابها الأعمال المعروضة في إطار المسابقة ..ولا يسعني ان أقول هنا أكثر من دعوة العارضين بطابق المرفوضين بأنّ تونس تحتضن كلّ أبنائها ولا ترفض أحد..فالرّهان على الجيل الجديد هو رهان التغيّير .. وطاقات مثل نبيل سامي،وبسمة بن يحي ومحمد بالعجوزة إلخ...طاقات تستحقّ إحتضانها وتقديمها ...وليس رفضها .

صلاح الدين الأيوبى

شعر : مختار النادى

١

صَرَخَتْ فِلِسْطِينُ الْجَرِيحَةُ تَحْتَ نَافِذَتِي وَجَاءَتْنِي مُعَفَّرَةَ الْجَبِينْ
تَبْكِي انْدِحَارَ سُيُوفِهَا وَتَسَاقُطَ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ وَالْجُنُودَ الْمُهْدَرِينْ
وَالنَّارُ قَدْ حَرَقَتْ جَدَائِلَ شَعْرِهَا وَعَلَى مَنَاكِبِهَا نُدُوبُ الْمُعْتَدِينْ
جَاءَتْ إِلَيَّ بِسَيْفِ "عَكَّا" بَيْنَ عِمْدِ خِيَانَةِ الْوَالِي وَعَجْزِ الْمُحْتَطِينْ
وَخِطَابِ عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ أَنْ تَكُفَّ عَنِ الْقِتَالِ وَأَنْ تُسَلِّمَ أَوْ تَلِينْ
وَدِمَاءُ صَوْتِ مُؤَذِّنِيهَا مَا يَزَالُ رَذَاذُهَا فِي الْحَلْقِ مَنْحُوحَ الرَّنِينْ

٢

قَطَعَ الصَّلِيبِيُّونَ كُلَّ دُرُوبِهَا وَاسْتَأْنَسُوا مُدُنَ الْوَلَاءِ الْمُرْتَشِينْ
وَتَحَصَّنُوا فِي "الْقُدْسِ" عَاصِمَةٌ وَأَخْفَوْا سِمْتَهَا الْعَرَبِيَّ فِي قَبْوٍ دَفِينْ
وَتَفَيَّأُوا فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَكَاذِيبَ الْعَدَاءِ وَكُلَّ زَيْفِ الْمُشْرِكِينْ
وَتَوَحَّشُوا بَيْنَ الذُّئَابِ وَعَذَّبُوا الْأَطْفَالَ تَحْتَ مَشَانِقَ الْمُتَمَرِّدِينْ

حَضَنَتْ فِلِسْطِينُ الْحُطَامَ وَحِينَ هَمَّتْ بِالْمَسِيرِ تَصَيَّدُوهَا فِي كَمِينْ
هَتَفَتْ بِخَيْلِ الْغَوْثِ فَانْطَلَقَتْ مُوَلِّيَةً تَدُكُّ شِعَابَ كُلِّ الْمُغْضَبِينْ

٣

وَحَمَلْتَ ثَأْرَ الْقُدْسِ فَوْقَ عِمَامَتِي وَعَبَرْتَ قَاهِرَتِي عَلَى فَرَسِي الْحَزِينْ
خَاطَبْتَ مِصْرَ بِكُلِّ آثَامِ الْغُزَاةِ وَكَيْفَ لَمْ تَغْضَبْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينْ
فَأَثَارَهَا مَاقُلْتَ وَاصْطَفَّتْ كَتَائِبُهَا أُسُودًا لَاتُفَرِّطُ فِي عَرِينْ

٤

وَأَخَذْتَ مِصْرَ مَعِي إِلَى الْمَيْدَانِ سَيْفًا لَا يُكَلُّ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَلِينْ
شَارَكْتَهَا شَرَفَ الْجِهَادِ فَكَانَتِ الْفُرْسَانَ وَالْأَفْرَاسَ وَالدِّرْعَ الْأَمِينْ
وَلِوَاءَ غَوْثِ الْقُدْسِ مِنْ إِرْغَامِهَا وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِنَ الْأَسْرِ الْمُهِينْ
وَتَصَدَّرَتْ "حِطِّينُ" مَلْحَمَةَ الْجِهَادِ وَزَحْفَنَا الْعَرَبِيَّ لِلنَّصْرِ الْمُبِينْ

(القاهرة)

أَصَالَة

الهادي العثماني

أَحِبُّ مِنَ آخِرِ الْعِشْقِ،
مِنْ نَزَوَاتِ الْجِرَاحِ
إِذَا اسْتَشْفَرْتَنِي ظِلَالُ الْقَصِيدِ
وَبِي لِاحْتِرَامِ النَّخِيلِ وَفَاءٌ
يُعَرِّشُ بَيْنَ حَنَايَا الضُّلُوعِ،
وَيَنْأَى نَشِيدِي
أَبُوحُ بِحُبِّي
لِأَرْضٍ كَمَا أُمِّتِي أَضَعُ قَدَمَيْهَا
تَشْهَدُ بِانْتِمَائِي
إِلَى مَزْرَعٍ فِي صِبَايَ الْبَعِيدِ،
وَلِلْقَمْحِ أُغْنِيَتِي،
لِلسَّنَابِلِ،
لِلْكَرْمِ،
لِلْأَحْلَامِ عَهْدِ الضِّيَاءِ الْوُرُودِ
وَيَنْقُشُنِي الْعِشْقُ بَصْمَةَ حُبٍّ
عَلَى عُصُنِ بُنُوَّةٍ لَا تَشِيخُ
إِذَا مَا انْتَمَيْتُ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إِلَـى جِذْعِهَا حَالَمَا أَنْصَارِي،
وَحَدِّثْنِي عَنْ حَكَايَا الْجُدُودِ
تَبُثُّ أَرِيجَ الشَّذَى فِي دِمَائِي
وَيَنْشَأُ سَمْعُ الْهَوَى فِي وَرِيدِي.

* * *

أَجِئْ مِنَ الْغَيْبِ،
مِنْ وَمْضَةٍ
مِنْ سَنَاءِ النُّجُومِ
وَمِنْ بَدْرِ لَيْلِ،
يُوَشِّي السُّهُولَ
وَمِنْ دَمْعَةٍ مِنْ دُمُوعِ الْكَرَامِ
وَمِنْ زَهْرَةِ اللَّوْزِ قَبْلَ الرَّبِيعِ
وَمِنْ رَبْعِ رِيفٍ بِهَضْبِ جَمِيلْ
وَمِنْ قَلْبِ صَفْصَافَةٍ لَمْ تَجِفْ
وَمِنْ شَمْسِهِ حِينَ يَأْتِي الْخَرِيفْ
تُجَدِّدُ ثَوْبًا لَهَا قَدْ تَلَاشَى
وَتُلْقِي بِأَوْرَاقِهَا فِي الشَّدِيمِ
فَتَحْدُو إِلَى الْمَدَى شَوْقِي وَالْحَنِينْ
بِصَوْتِ الصَّدَى وَالْغِنَاءِ الْحَمِيمِ

* * *

أَنَا ابْنُ الْفَلَاةِ،
هُنَا وُلِدْتُ مَعَ الْأُغْنِيَاتِ،
مَعَ الزَّرْعِ وَالْفَجْرِ وَالْمُنْيَاتِ،
أَبِي كَانَ يَفْلَحُ أَرْضَ الْحُقُولْ
وَأُمِّي تُؤَنِّسُ سَعْيَ الْحَيَاةِ،
تَرَبَّيْتُ بَيْنَ شُمُوخِ الْجِبَالِ،
وَبَيْنَ النَّدَى وَالنَّسِيمِ الْعَلِيلْ
وَبَيْنَ تَرَانِيمِ صَوْتِ الطُّيُورِ
وَبَيْنَ الضِّيَا وَالرُّبَى وَالتِّلَالْ
تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أُغَنِّي بِشِعْرِي
تَعَلَّمْتُ أَنْمُو وَبِي نَبْضُ عُودِي
وَبِسَمْرِ لَوْنِي حَبَا الْقِفَارِ
تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أُحِبُّ بِلَادِي
وَأَدْعُوهَا صَادِقًا فِي صَلَاتِي.
أَنَا ابْنُ رِيفٍ، وَابْنُ شَرِيفٍ
وَمَوْطِنِي يَنْمُو هُنَا فِي دَمِي
فَأَسْقِيهِ بِالْحُبِّ مَاءَ الْحَيَاةِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غيوم أخرى

بقلم : ساطع محمود الجميلي
العراق

رصاصة : خذ النّجوم من ليلي وألحقها بالقمر المذبوح، واطلق رصاصة الرّحمة صوب جسدي علّها رصاصة القتل الأخيرة .

قبـــور: كم من القبور تحتاج لتكاثر النّاس .

شموس : كم من الشّموس أحتاج لأضيء ليل البلاد .

قمـــم : كم من الأنوف تحتاج لتبلغ القمم .

رنـــين : كم من الرّنين تحتاج لتعنف الصّمت .

شـــموع : كم من الشّموع أحتاج لأدخل أعماق النّهار.

حـــبّ : كم من الصّحون أحتاج ممتلئة بالوفاء كي أقيم موائد كبرى من الحبّ .

زرقـــة : أحتاج إلى عيون زرقاء لأرى ما في أعماق البحار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغنية لسنة منتهية

شعر: مختار المومني

* جانفي
غمامة تمرّ في احتضار
حمامة ترف فوق النّار
وفكرة تمرّدت على الحصار
* فيفري
يا أنت
ياقطّة تركيّة مدلّلة
بحثت عنك يا ...
فما وجدت غير وجهك الحزين
على جدار قلبي المكلوم
رسالة بلا عنوان
* مارس
أن تفتح يا سمسم
أو تبقى لغزا مبهما
سأكشف الغطاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأسجن الشتا ،
وأرجم العقبع بالكلام
* أفريل
كذبة بيضا ،
في الزمن الردي، قد حسلتها
والسوق كاسدة
وباعة الكلام في مدينتي
يلاطفون جثة محنطة
* ماي
"قدك البابور"
والشراع قد تمزق
غاص البحر في حذائي
فاختنقت يا حبيبتي
* جويلية
من منجل الفلاح
يشرق الصباح
فترفل السنابل
* أوت
في الأزرق الممتد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرحل الشّراع
يغازل النّوارس
فينتشي الشّراع
* سبتمبر
ويهجم الذّباب
يسرق الأحلام
والأقلام
والكتاب
وحدي أظلّ لاهثا
خلف طائر الكلام
* أكتوبر
قد قالت الرياح
بصوتها الفصيح
الأرض وردة
قد خانها العبير
* نوفمبر
سأحمل حزني
أفتته دمعة .. دمعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنجان

للشّاعر التّركي : أوكاتي ريفات
ترجمة : آمال سفطة

وأنت تأخذ الفنجان
من فوق الطّاولة ماذا تركت للبحر ؟
النّافذة مفتوحة الجناحين
ذابت الغيوم دفعة واحدة
فجأة انطفأت السّماء
أمّا الطّفل فمآله الغرق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رغائد عبّاسيّة

شعر : عبّاس منعثر

العراق

. 1 .
أحب
يعني انت
وابغض كذلك .
. 2 .
من الاسود والابيض
تشكّلت
وها أنت تشكّلين الكلمات
قبلا وسكاكين .
. 3 .
أصابعك الطّويلة
عيناك الطّويلتان
عودك الطّويل
دلائل قسرية
على ابتداء عذاباتك الطّويلة
ياقلب .
. 4 .
في المكان حيث التقينا
أول مرة نبتت شوكة في القلب .
سقتها بلاهاتك
وحناناتك
فلا تسألي بعد
لم انت جارح يا حبيبة .
. 5 .
المرأة مكورة
إذن خلاّقة .
. 6 .
رغائبي

فلّين يذوب
خطوات بلا أثر
ذلك قبل شروق ظلامك
الّذي علّمني السفالة
والكذب
لقد طهّرتني تماما
من الفضيلة
وجرّدتني من ورقةالتّوت
وها انا
شانيدر
اصرخ في رغباتك
اتعبد لبرقك
عابرا الحضارات

نحو طراوة الغسق البداني .
. 7 .
تلك الفكرةالكلاسيكيّة
عرجاء وبلا رنة
كلا
الحبّ ليس اغنية
إنّه موت متنقّل
كذب أبيض
ومتاهات .
. 8 .
ما بال صوتي
انثوي
وجسدي دبابيس !
الأنك في الطّرف الآخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ام لانني ادّعي ؟
. 9 .
اللّعنة القابعةفي بيتكم
لبّة لذّتي
فبي رغبة بالمصائب
وحاجة للمصائب القائمة .
أنت إحداها .
. 10 .
ما هذا !
عندليب حينما تتكلّمين !
شلاّل يهبط !
ماء يتقافز !
غصن يتثنى !
قلب كما يطلع !
عندما تفتحين أزرار قميصك !
ماهذا !
كمال برجلين !
أتركي شيئا للمحرومات
يا جنّتي المصغرة .
. 11 .
كم مرّة غزلت شبّاكي
كم مـــرّة غـــصـــبت لؤلؤاتك
بسفالاتي
وأحطت عينيك بدائرتين غامقتين
!
. 12 .
رغم حماقاتي
ها هو البلسم يبترد
في الجراح
وها هي الرّيشة
تتقلّب في الريح .
. 13 .
كلّك قلب
وباقي كيانك

كوبونات .

. 14 .
أمسد شعرك
لا كما يفعل الموظّفون
لكن بشذوذ مقدس
هل عرفت رضيعا
أكثر قبحا
وشقاوة
مني
بالنسبة لي
حينما ننفرد
تبدأ حوّاء .
. 15 .
ليت قلبي يتوزّع
على كلّ القلوب الزّانغة
لينظروا بتأليه
إلى شبيهاتك .
. 16 .
خذي عنك هذه الأشياء
جميعا
ودعينا نرتكب الأخطاء
جميعا
فلو لا الحواجز
ما كان العبور ملّذا .
. 17 .
أهدّدك بأنّني
سأستدير عنك يوما
لكنّك واثقة من الرّياضيّات .
ـ الإستدارة لـ 260
عودة لنفس النّقطة.
. 18 .
كنت على خطأ
لم يعبدك قلبي
بل الكلمات .
. 19 .
ليتني أسمل العيون
وأقصر الطّرق .
تموّجاتك ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك الشعاع ...
وهذا الأنق
. ببساطة .
دبق ورجة للمألوف .
كفي حاجة للتمركز
ورغبة دائمة بالهيمنة.
أنا مع ذلك
مغتبط .

فكلّ هذا العنفوان
عائد الي وحدي .
. 20 .
زجي كحول اثيلك
بفلزك المنصهر
مع قليل من حامض كبريتك
ثم ادلقي الحليب
والرضاب
ودعيني البط في الخليط .
. 21 .
كلّي مقت للاصفاد
وكلّي فداء.
. 22 .
احبّك
قبيحة
جرداء وعصا .
ليس لي ثقة
بالعطور
ولا مودة .
بسببك
أنكر انوف الآخرين.
. 23 .
تلك التي انت
ماء على رمل
قرنفلة وشوك
يال قلبي !
لقد أهدته السماء
لعنة حقيقيّة.
. 24 .

في هذا الفضاء
حيث العيون لغات
وشائعات مريضة .
حيث الشكّ دم يسيح
وحيث البرج قدم واثقة
لايعود لي سوى
مراقبة فقدانك.
. 25 .
لقد دمّرتني ياهذه
كلّك قلق يروب
وساعات ذاهبةهباء !
. 26 .
ضعيه
في مكانه
وانظري في عيني
مبتسمة
ياه !
كم أحبّ إذلالك !
. 27 .
ضرب من الاستحالة انت
تضحين الرغبة بالجدار
والكذبة باليمين
وحالما تنكشفين
توظّرين إذعانك بالضياء !
يا زنبق .
يداي ترتعشان
وفمي قلوي .
. 28 .
شعرتك قبلات
وشتائم
غير أنني رغم هوانك
بالون
يحتك بابر جسدك الممشوق
راغبا في التوغّل
والتطاير
إلى فرقعات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. 29 .
حين صفعتك تلك المرة
أعلنت هزيمتي
وبياض تبختري
حين صفعتني
أدركت أن الهزيمة
إنتصار أحيانا .
. 30 .
لعبة الجسد
تفقد (مونتها)
الماء ينفد
اليد تكف
الفم يتخم
والإهتزازات تنهار .
فما الذي يتبقى ؟
لم يجتاحك الإرتعاش
وتطلبك الوحشة !
من أين يطلع أوهانك
وأنت
نسخة رديئةلطبعة شعبية
مؤكدا
إنها الذبذبات .
. 31 .
معك لا خسائر
بل فقدانات
تتسكع هناك
حيث الأزقة والدرابين الموحشة

لحين مثولها
للتزيف .
. 32 .
لم أكن وحدي يوما
لابد من مفصلة
أو
تقرح صغير
أما النزلات الشعبية

والربو المزمن
فرهين كراماتك
أيتها الازمة الدائمة ...
لم أكن وحدي
إلا معك .
. 33 .
أوخزتك
انفخك دوائر
وموجات
واتأمل
لتهبط الجملة على
موهبتي
قذيفةهاون .
. 34 .
علام الحب ما دام
مل الختم
وما دمت دهنية
كحبة خروع !
علام الهواء
طالما انه مشاع !
. 35
عصفورةام
تزق الديدان في مناقير
فتاة طرية
تضع الحلمةفي فم صغير
طفل يسقط من على جدار
قبلة أبعثها في الهواء
إليك
متخفيا .
أيسمى ذلك حبا
أم غشا لابد منه ؟
. 36 .
هل لك أن تهرمي قليلا
كي تنال الشيخوخة
نتفة
من عنائي !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. 37 .
من اين اتي به

اليك
من تحافتي
ام من سعال ابي الباشط ؟
هو اليأس .
وانسحاب بطيء امام كلب مسعور
قري عينا
واقنطي
بادليني اللوم
والكلمات
ذلك انني حروف
وخارج مدى الجاذبية.
. 38 .
كما أخلع نعلي
أخلعك
أو
كما أخلع القلب .
. 39 .
.إعشق. تقولين
.فخراج الغيمة عاند لي
. 40 .
مايسعد الرؤيا
ويفتني
أن مصيرنا
إلى أصداء .
. 41 .
وجود أمثالك
مكلف للغاية
يقصر العمر
يقضي على المدخر
ويهلك القلب
بالهم .
. 42 .
البياض الذي تدّعين
كحل في عيني
ليس لديك قلب

بل حافلة .
وبينما يغرد قلبي في الغيب،
تومئين للشمس على موقعي .
. 43 .
من حساناتك
ملاقي
وتقريب قبر على قدّي
الي
رحمة بالفار الابيض
يا تجاريب .
. 44 .

صرت أكتشف
أنّ القناع
وجه في العادة .
. 45 .
ما الذي يشدّني إليك .
إلى هراءاتك ؟
ما الذي يبقيني
في الشمس
أهي مكائدي
أم نباتاتك !
. 46 .
من الهواء
الذي أود لو يتبخر
من ردائك
والزينة الشفافة هذه
من الأسماء
التي تمظينها بشفتيك
أغار
وأرغب في تحرك
من الرقبة.
. 47 .
أنظر بأسى
للمخدوعين الآخرين
أحس بالفارق
وأتمنى الا ينتبهوا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد
سبقتهم جميعا
وحزت دونهم
على قلبك الأبيض
وغبائك الستر .
خزي
أن يستمروا في ضبابهم .
يحنق تفوقي.
ويجعلني افكر جديا
بالسفر
ضيق الافق هذا .
48 .
خبرتك سكين
فلم تظهرك المرآة فراشة
أهي التقية
أم المصيدة ؟
49
أعرف أننا سنفترق يوما
فخذي أثاثك
من جسدي
واتركي لي

الزائدة الدودية
50
حينما يحتضنك آخر
وألقى إلى الإهمال من قلبك
أضرع للبسمة
أن تقتطع لك من شفتي
كل انفراجها .
51
لقد وصلنا
إلى أعلى الهرم
السقوط منه
تهشيم كامل
تشبثي بي إذن
تشبثي

لاجل تهشمنا معا
؟؟
يأتي صوتك
من اعماق غائرة
طقوسية
سوداء
ويعود مختلفا
صندوقا مهيلا
وشوشات
وطعما ليس له مفردة
53
غدرك وشم
وحجر في بركة
يأمن دمعها زجاج
ورضابها ملح
54
سأعافك حتما
وألقي بك أخيرا
وجبة لدود المقابر
فأنا لذة
وقدر
عليه أن يتم ما عليه
حتى آخر النفس
في الحقيقة
لن تعافني مخالبك
إلا مزقا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معجزة زرقاء

شعر : كريم شغيدل

تذكّرت الّذين ماتوا معي
للإمساك بعشبة الذّهب
هاتي عشبة نحنّطها
أو .. نحنّط رائحة الذّهب
ألم يتدفّق الذّهب ؟!
هاتي الطّفل الّذي أضعته
أحنّط له الحنطة
أو .. أشم شفتيه
دم الّذين ماتوا ذهب
والدّم في الحروب
حليب يحمرّ من وهج القلوب
لنحلّق في الغرفة
لنحلّق بلا خبز
بلا أمل في الرّسائل
بلا معجزة زرقاء
أو منفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هاتي المحنة
نقطع فيها بريّة الألم ؟!
هاتي بردا
نموت إلى جواره
أو ...
هاتي رغيفا
بظلّه نجوع
أعط الطّفل غزالة
بالدّموع يرشّها
فقد يموت بظلّنا
مثلما يموت الشّاعر
من فرط الحنين
إلى العزلة
هاتي فراشة
أشمّ على جناحها
رماد السّنبلة
أوقدي الشّمعة
هي دائما تبكي
ونحن نذرف العسل
رشّي المطر على سطح حياتنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الماء حليب التُربة المزرق
من فرط الحنين إلى الغيمة
أو ...
هو كما تقول حبيبتي : مراة السَّماء
في عطر الوردة
أقبل يد البلاد
أو أتذكّرعلى شرشف الأسى
عطر زفافك
أخبزي العطر
أو ..دعي الهواء يستعيده
فبعيده لأعيادنا
يبست على شفاهنا الأعياد
سال اللّحن في الطّرقات
يبس الهواء
وعلى سطوحنا تاه الأمل
هل يبست ابنة أخي
أم أنّهم يجفّفون الصّغار للشّتاء
لأيّ شتاء أدّخر البرد
أو .. ماذا أقول لأيّ شتاء
عن النّار الّتي يبست في الحناجر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة الأنبياء

شعر : حماده الصّالحي

ارتمى على سطح الأرض
ثقله ...
وكوّن في البداية
سفر الأقاليم المحروسة
بالصّداع ...
من شكل الواحات استقى
نغم العمر
هل لضلوع آدم ترجمة
للأغصان العاشقة
في مدى العلوّ ؟!!
أستقبل أنباء القبيلة
بالشّبح الجبليّ ...
أتطهّر بالأقحوان قبل أن يأتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات ترتدّ

شعر : محمّد الغضبان

إلى ليالي السّمر المنسيّة أرمي الشّوق
وقبلة الأمس فوق الأمس
وتغريد الطّيور وألوان الفراش
إلى الأمس الصّبيّ . كم حلّقنا عراء لياليه
وتحرسه أعين غجريّة
على القيثارة تعزف
وخبر شوقي عن مفاتن الرّواية
روايتنا فارمي
بغصن الزّيتون ، أرسمك
بعطر الياسمين
فكيف اللّيل خبرني
عن العمر كالقمر يمضي
سألقي الباطر بعمق البحر ... مرّت من
هنا علّيسة يوماتقود حلم قرطاج الأبديّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعن ترنيمته حدّثني الزّمن
وعانقت الحنين
كذا خبّرني كلام الجدّة العفويّ
وددت لو أنّ الحكاية تأسرني
بظفائر النّساء طول العمر
ومرّت عليسة يوما
تودّعها دموع المدينة إلى المغيب
وآشتاقت رياحي للرّياح
إلى البحر
إلى قرطاجة الحسناء ...
والحكاية جدّ ...
وللغزال ... راع ...
ينام الجدّ في أزمنة الرّواية
وينعم نهد قرطاجة
على صدر الكلام ... على طعم الصّنوبر
وفي البال ... غزال وعصفور من الشّرق
تعالي في الخيال ومرّي فالحرس نيام
سلام أيّها الحرس
سلام للقمر
سلام للجدّ... أيّها الجدّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد راحت عروس البحر ... لترتاح
لتلحق ندى الفجر
وراحت تستريح من تعب الزَمن
ولن ترقد رقود الجبناء
كتنّين البحار تنهض من غفوتها...
تعرّت مفاتن الرّواية في مروج الحلم الوردي
على خصرك سأرسم غصن الزّيتون فارقصي طويلا .
فجدّي يعزف على القيثارة
يناجي في الخصوبة أغنية وألحانا .
فغنّي ياغزالي
لك التّاريخ ... غنّي
لك الأقمار ...
على ساحل الكلام نهد وإكليل
تنامين الفجر مستيقظة
لك الشّرق ...
لك المجد ...
وشمسك لن تغيب ...
لك البحر ...
لك الحلم ...
عشقت الصّبر فيك ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشقت الصمت في الخلد ...
عشقتك في جدّي ...
رسمتك جنّة في الحكاية ...
وألبسك الزّمان رداء الطّهارة ...
لك القداسة... أعبدك
لك الأجداد تاجا على تاج...
أيا قرطاجة البحر
صداك في النّسيم يضرب الأمثال
طريق الأمس كان ينقّط ، وينقّط .
وحول الأذن وفي الراحات يرسم الأزهار
وفي ذكراك لوّنّا ثنايا الغد
وراح الصّبية قرب القمر
يحيكون الشّوق باللّون الأزرق
وبالأحلام ...
تنام النّسوة عند الوادي
على غسل شعور الإناث بالحصى ...
لتهدي ظفائرها
لربّ المدينة
والأبد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصوص

شعر : ابراهيم البهرزي
العراق

1 ـ المعرّف بـ (لا)

يمحو قبلما ينشئ...
الفضاء لسانه الوحيد الّذي يتحدّب
على البدانه العابرة للراسخين
يطوّق افتخاراتها المرمريّة
بحزوز فاتكة من تيزاب النّقش الوثني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فراغه الممتدّ في مسيرة العقول الرضيّة
يمنح الأحلام طبيعتها النطاطة .
ويردم المواضع الهندسيّة حادّة الكمال .

إن يكن مطرا
أو اسفنجة شوها ء
أو طريقة للإمتعاض

فانّ البلاء المستقرّ في طريقته
يحيل الهياكل المباهيّة في داخل العقل
أو بعيدا في التّضاريس الفاضحة
تلالا من الإستمالات
والتأمّل البدوي الأفقي
لعاموديّة النّبش في الدّوارس .

2 ـ المنشق

أكتب لك من ليل أقدم من رمح
من حشد أفتك من قنّاصين
ما عاش سوانا أحد
مطحنة ضمائر
مثل الآن ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكتب لك كهراء في حافلة ...
الحكمة مشبوهة
وطنين الإنشاء مقدّس

نحن عصاة الرّسائل الخوالد
الماكرون ينصب الفخاخ المشاكسة
لفقهاء الإعادات الأبيدة

أكتب لك من مشرحة
عطرة جداً وضاجَة بالأناشيد
أنا الحيّ
أعظ الموتى بفقه الخلاف .

كلّ صمتي كان مجيشا للعراك
الآن
وقد أضلت المعارك فرادة مغزاي
أكتب اللّيل الهجاء تلو الهجاء
عنّك تعودين لتأنيبي
أنا المنشق
السّاري على هواي
في اصطخابات الرّياح المتناوحة .

3 ـ صفير منتصف الصّلب

إنّ عليّ الآن
أن أصفرَ بمنتصف اللّيل
كصفير الصرار الخريفي المتوحّد
الدّنيا نائمة يقظى
واللّيل درع من آسنت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقلب يومئ بفاصل من عطل
والكلمات البسيطة
علامة دالّة للألم .

حين نفرح بأصواتنا الفريدة
في ليل سهل الصّمت
يكون سواء
التّرتيل المجلجل العميق
والصّفير الخيطي النّحيل

وحين تندغم أصواتنا
مع النّداءات المجانيّة لخطباء الطّبيعة
يصبح منتصف اللّيل
أو منتصف النّهار
وقتا يصلح للتّصويت على الصّمت

ليس الوقت
ولا النّغمة
بل قلب يتعطّل في فوضى الإيقاعات
نداء غريق يمحوه ثقل الأمواج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طفولـــة

شعر : توفيق الشابّي

*

كم سنة مرّت
وأنالم أعرف بعد تفاصيل وجهي
وأسئلتي حول نفسي لم تنته .

*

أوّل مرّة أتأمّل وجها
بعمق الكهولة
وجدتني طفلا
بكلّ بساطة أتحسّس وجنتيك
أرسم وردة
أمدّ يدي نحو زندك
كان طريًا كغصن شجرة اللّوز

*

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*

*

*

*

إنتشيت
سبحت
سبحت كمن يلامس نجمة
* * *
وحدك تسمعني أطرح الأسئلة
تارة يجيبني صمتك
وعيناك نافذتان تتسعان
وأخرى بكاؤك
ويداك وردتان تنفتحان .
ولدي ... بدايةحلمي ...
كلّ ردودك مقنعة .

*

*

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاد ونجوم

بقلم : جمعه محمد جمعه

* فانتازيا مصريّة *

هبط علي لا أدري كيف ؟ أو من أين ؟ اختطفت القلم من يدي ، قصف سنّه، مزّق الأوراق ، بعثرها في الهواء ، وهو يسخر قال :

ـ أيّ جدوى تستفعل ؟ هيّا أريك مالا يخطر على ذهن ..

بعد قليل تردّد وافقته ، استطيت ظهره ، حلّق بي فوق أطلس ، ننتقل من مكان إلى آخر ، فوق بقعة صغيرة توقفنا ، صاح :

ـ هذه بلدة النّجم الأوحد ، الحاكم الفرد ،

ثمّ أشار إلى منبع نهر ، رأيت مضاطب عرضيّة تعترض المجرى ، كثير من البشر يصطفون فوقها ، بين أيديهم غرابيل ، يغربلون الماء ..

حملقت في دهشة ، أعزّ رأسي فيّ عجز عن التّفكير ، لمح حيرتي فقال :

ـ النّجم الأوحد بيده الحلّ والعقد ، يكاد ، يقول للشّيء كن فـ...

واستغفر ربّه قبل أن يضيف :

ـ يكاد يعبده البشر ..

ـ وماذا يفعل هؤلاء المجانين ؟

ـ يأتي السيّاح ليشهدوا هذا المنظر ، ألا يستهويك ؟

ـ تستهويني غرابته..

ـ يظنّ هؤلاء البشر أنّهم ينقون الماء من القطر الضار بالصحة ..

قلت في ضيق من جهلهم :

ـ وهل يصدق احد هذه الغرية ؟

ـ اكاد اشك فيك..

قالها وهو يرمقني بريبة ،ثم عقب :

ـ انسيت مفعول الاعلام الموجه ..

هززت رأسي موافقا :

ـ اعرفه خير المعرفة..

أمسك بيدي ، قفزنا قفزة رائعة،وجدتني قرب بحيرة محدودة الاتساع ،تغطيها مواسير ضخمة في صفوف طولية وعرضية ،تبدو في تناسق بديع ، تتساقط منها مياه غامقة اللون .سألته :

ـ وما هذه ؟

ـ مواسير صرف بقايا اجهزة الهضم..

تداركت على الفور الأمر، صرخت مرتعبا :

ـ إنها تسمم الماء..

رد صرختي بصرخة أقوى :

ـ إنهم يعطرونه يا غبي..

ثم بعد ان هدأ :

ـ ليقل أستهلاكه ، ولا تضطر الدولة لشراء الماء ، أو الدخول في حرب مع جاراتها بسببه ، أليست أفكارا مبتكرة ؟

سقطت راسي على صدري ، حملني على صرخة جناحه وهو يقول :

ـ يبث الاعلام هنا انه تقدم ، وانهم أجتازوا القرن الجديد بنجاح منقطع النظير ..

صحت في ثورة عارمة :

ـ يالله من تقدم لعين ..

قهقه ساخرا وهو يتبدد ويتباعد صوته الضخم :

ـ ماذا تقول لو رأيت دولة النجمين ؟

إنتفض القلم في يدي ، انتفض بدني كله ، ضربت بالقلم سطح المكتب ، إنكسر إلى نصفين..

* * *

بعد غياب طويل فاجأني بالزيارة ، ثورة عارمة :

ـ قصفت لك القلم بماذا تكتب ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت ضاحكا :

ـ بريشة أغمسها في الحبر..

رد في جدية مغضبا :

ـ بسببك إنفض السياح عند دولة النّجم الاوحد ، ثار البشر وحظموا المصاطب و المواسير ، فضّلوا شرب الماء بملوثاته الطبيعية..

نفخ نفخة هائلة هزت الجدران ، تمايل المصباح بقوّة واصطدم بالسقف ، تحطم وساد الظلام ، حملني لا ادري كيف وحلّق بي .. وقعنا على مكان جديد ، أرى أناسا يأكلون النباتات أيًا كان شكلها و لونها او طعمها ، المهم أن تكون ندية ، تعجبت متسائلا :

ـ ليس كل نبات يؤكل ، كيف يعيش هؤلاء الناس ؟

قال مبتسما :

ـ ضاق النّاس بالتجارة وإتفاقيّاتها ، وإستغلال الوسطاء ، إهتم الحاكم ووليّه بزيادة المساحات الخضراء ، إنتشرت الخضرة في كلّ مكان ، وقد نضب البترول والغاز ، ولم يعد هناك وقود للطهي..

علّقت مبتسما :

ـ أعتقد أن هذا الشعب يعاني كلّ الامراض..

ـ هذاما فطن إليه الحاكم ووليه ، إقتصرت مصانع الدوا ، على صنع دوا ، المهضّمات فقط..

قلت مستحسنا الفكرة :

ـ فكرة مبتكرة فعلا ، أفهم من هذا أنّهم لا يأكلون اللحوم قط..

ـ هذا صحيح ، لذا ترى الحيوانات منتشرة ، تحمي البلدة من مشكلة تزايد السكان..

في إستياء قلت :

ـ حياة الغاب..

قال ساخرا وهو يتبدد :

ـ وماذاتظن الحياة بعد نهاية التقدم ؟

فكّرت لحظات فيما قاله ، بحثت عنه فلم اجده ، قمت اغير اللعبة المعطوبة ، حين ضغطت على زرّ النور إنفجرت..

☆ ☆ ☆

لا أدري كنيته أو هويّته ، أقصف القلم ولا يأتي ، أعيش في الظلام لايأتي ، هو وحده يختار زمن المجيء..

فوجئت بالحجرة تهتزّ بي ، ظننت زلزالا ، لكنّه خيب توقعي وهو يرفعني ويحوم بي ، قال :

هذه بلدة حكام ثلاثة ، ستعجبك ، الرئيس ومسؤول الأعداء في الداخل ومسؤول الاعداء في الخارج ، الجميع بعدهم تروس في الآلة الدائرة..

ـ آه ، بلد النجوم الثلاثة..

رأيت النّاس كثيرون ، سائرون ، أدهشني أنّ الرؤوس كلّها في إتجاه واحد ، إلى الأمام على الدوام ، همست في أذن أحدهم :

ـ ما عملك؟

ـ أعمل في الحقل كما ترى..

تلفّت باحثا عن الحقل ، سألته مندهشا:

ـ أين حقلك يا سيّدي ؟

ـ أنافي طريقي إليه..

قلت بعد مسيرة عدّة كيلومترات:

ـ أحقلك هذا الّذي عن يميني؟

ـ ليس حقلي ، حقلي أنا موجّه إليه..

قلت لناقلي إلى البلدة :

ـ أناس آليون فيماأرى :..

قال مبتسما لأول مرّة :

ـ هؤلاء ، الآليون كانوا أعظم المفكّرين ، أضناهم الفكر وأرّقهم طويلا أقضّ مضاجعهم فتحوّلوا كما ترى ..وجدوا خلاصهم..

قلت مبتسما :

ـ هذا شعب مريح جدا لحكامه..

ـ لهذا لا يوجد ما تعهده من وزراء ، ومدراء ، وعمدا ، وعلمٍ جراً..فقط ثلاثة..

ثمّ عقّب بعد فترة صمت :

ـ أليس نظاما مريحا للبشرية جمعاء ؟

قلت :

ـ أنكر قليلا ثمّ أجيبك..

إستغرقت في التفكير ، تحول عقلي داخل رأسي الى شوارع ، حارات ، دروب ، أزقة ، لم أصل لشيء ، صرخت :

ـ لا أستطيع التفكير ..

ـ كن مثلهم تسترح ..

يبتعد سريعا ويتلاشى ، لم أجد القلم في يدي لأ قصفه ، ولا الأوراق لأمزقها ، لم أجد لمبة مضاءة أو مطفأة ، لم أجد شيئا البتّة ..

* * *

قال قبل أن يهوي بي :

ـ إخلع كلّ ملابسك ..

نظرت إليه في ذهول :

ـ وتنكشف عوراتي للناس..

ـ أفضل من أن يطاح بعنقك لأول وهلة..

تساءلت بعيني ، أردف قائلا :

ـ أربعة فقط في هذه البلدة يرتدون الملابس ، الرئيس ، مسؤول الأعداء في الداخل ، مسؤول الأعداء في الخارج ، ومروّض الشّعب ، أما كلّ الناس فهم عراة..

صحت مستنكرا :

ـ أيّ بلدة هذه ؟

ـ هذه بلدة الموضة ، ظلّوا يبتكرون في الأزياء حتى إضمحلّت ملكة الإبتكار ، قالوا أن الموضة في هذا القرن هي العري الكامل..

قلت ساخرا :

- والنجوم الأربعة أنت ..

قال :

- النجوم الأربعة يرتدون ملابسهم للتميّز فقط أمام الشعب ، أما في قصورهم فهم عراة أيضا ..

خلعت كلّ الملابس إستجابة لطلبه ، ولأقف على أحوال هؤلاء النّاس ، أو ما يميّزهم عن بلاد أخرى زرتها غير العري الكامل ، فوجدت بأنهم يصنعون الملابس ، سألت أحدهم مندهشا :

- تصنعون الملابس وأنتم عراة ، لماذا ؟

- للتصدير يا سيّدي حسب الإتفاقية العالمية " جاتها نيلة " ..

سألته :

- وماذا تشترون من البلاد المجاورة :

- نشتري الأولاد حتى لا نفنى..

كدت أختنق وأنا أشهق من هول ردّه :

- تشترون الأولاد ..

قال الرجل ساخرا :

- لا تعجب يا سيّدي ، حين تعرينا أصبنا بالقرف من نسائنا ، إبتعدنا عنهنّ ، ومع تناولنا الأطعمة المعقّمة أصبنا بالعقم..

- غريب أمركم يا شعب ..

قال رفيقي ساخرا :

- ألا ترى في هذا البلد الأمن والأمان..

قلت متفكرا :

- تصور ، هو فعلا كذلك ، لا سرقة ، لا رغبة ، لا حسد ، لا خطف ، لا إغتصاب ، لا نهب ، لا إقلاق للنجوم الأربعة ..

قال وهو يتلاشى من أمامي :

- موعدنا في بلدة النجوم الخمسة..

كدت أصيح :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كفى. كفى ..

لكنّه إختفى..

كلّما همّت بوضع رأسي في نقطة التوازن . أفاجأ به يحيطني ، يحملني بعد أن جردني من قلمي وأوراقي والضوء الذي يهديني في ظلمتي وأيضا ملابسي ،

صحت فيه قائلا :

ـ أرجوك . كفى ما عانيت معك..

لم يأبه وقال :

ـ وعدتك في المرة الفائتة بزيارة بلد النجوم الخمسة ، سأريك هذه المرّة سقف العالم ..

ـ قلت لك كفى وأن تتركني ..

ـ لم أسمع أعتراضك..

حملني وأخترقنا السحب . عاليا ، قلت في خوف :

ـ فيما هذا العلو الشاهق ؟

ـ حتى لا تقتلك رؤوس العمائر الشاهقة الإرتفاع ، المدببة كالخناجر والسيوف..

خمّنت وقلت :

ـ هذه البلدة رئيسة العالم ..هي بلد النجوم كلّها ..

ـ هذا صحيح لكن يبرز فيها خمسة نجوم هم الرئيس العالمي ، وظله ، مسؤول الأمن العالمي ، مسؤول الفكر العالمي ، وأخيرا مسؤول الأرض والسماء والفضاء ،

وعلى فكرة ظلّ الرئيس العالمي دائما إمرأة ..

قلت على الفور ..

ـ عرفت هذه البلدة لا داعي لزيارتها..

قال في إستكانة :

ـ خسارة ، خسارة فادحة ألا ترى ما تتمناه..

ثم وهو يشحذ همّتي :

ـ ستعرف حالا ..

كدت أصعق وأنا أجدني أجلس الى مكتبي بيدي قلمي وامامي أوراقي ، أذهلتني

المفاجأة فصحت :

ـ من جا ، بي هنا ؟

ـ أنت جئت بنفسك حينما أصابك عمى الألوان ، لم تعد ترى الأبيض أبيضا ، ولا الأسود أسودا ، عندما إختزلت العالم كلّه في قرية واحدة ، أول سمات القرية الواحدة التّجانس ، أنت قلت نحن في عصر ما بعد عصر العلم .

قاطعته مبتئسا :

ـ أنا لم أقل ، أنا أردّد ما يقال..

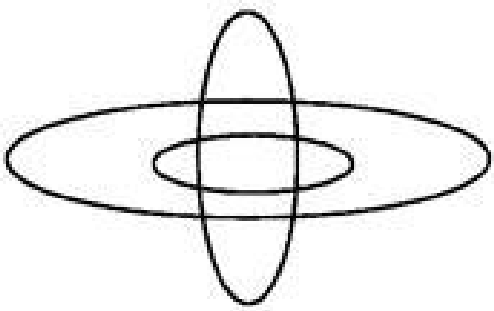
ـ أنت صادق في أعترافك لكن بعد فوات الأوان ..أمامك أدواتك ، قل ما تريد فأنت حر..

قلت في سخرية مريرة من نفسي ،وأدواتي ،ومن العالم كلّه :

ـ حر..كيف ؛ و" جاتها نيلة " إياها فوقي وتحتي ، أمامي ووراني ، ليس لدي سوى أن أهتف " تحيا جاتها نيلة ..تحياجاتها نيلة "..

وأغلقت أطلس العالم وأنا أأسف لما يحدث لي .....وللعالم معي..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



صيحة غضب

بقلم : نهلة علاّم العيّاري

من وطئ ترابي ودنّس محرابي وهتك ستر حجابي ؟

أشمّ رائحة الجثث منبعثة من أمسي. جثّة يا صديقي حامت حولها الضّباع والسّباع ثلجي تحوّل إلى وحل مربدّ اللّون . تعكّرت ألوان طيفي . صمتي دنّسه الكلام وصلاتي دنّستها القهقهات الجوفاء . فضاني يا صديقي ورديّ فلماذا غدا في أمسي رماديًا ؟ أشعاري وأغنياتي ، هذياني وأحلامي آستباحها كلّها أيّ شيطان آستباحها ؟ لماذا يصرّون على تمزيق ورودي وكشف أسراري . كتمت يا صديقي فباحوا وأخفيتك فكشفوك وخبّأتك فضيّعوك . كنت أحسبني ملكتك فآختطفوك منّي . آختطفوا منّي دمعي وآبتسامتي . سلبوني سرّي فآنقشع ضبابي . أتراهم رأوك في نظراتي أم أنّهم لمحوك في العبير المتضوّع من ثنايا القرح ، أتراها النّجوم أخبرتهم عنك ؟ من كشف سرّي ؟

هم يا صديقي كالنّعال المثقوبة ، كالعلب الفارغة هم كالضّحكات المفضوحة . هم كالجماجم تملأ المقابر المتهدّمة . هم يا صديقي مومس تلوك بين فكّيها كلمات حمقاء وتلوّن وجهها بشتّى الأصباغ .

أنت يا صديقي ضحكة طفل وآبتسامة شيخ وشهقة عاشق ولهفة أمّ . أنت صمت الشّهيد وتسبيح الطّبيعة . أنت هدوء البحر وتيه الغريب .أنت همس وقطرات ندى ونشيد غروب .

لاتركن إليهم فيحطّموك . ابق حيًا فيّ وآحذر أن يميتوك . أهذا آخرعهدك بالجمال . أهذه نهاية معاشرتك للصّمت المقدّس . الصّمت المرير سفيري إليك ولغة بيني وبينك .

أحرقوا مزارعي وأهدروا قمحي . أقفرت حقولي .

سرقوا حصادي . بيادري يا صديقي تصفّر فيها الرّياح .
من أحرق حقولي وأتلف زرعي وبدّد قمحي ؟
سبعة أفواه جائعة تنتظر البحّار من أوبته . فمن استباح دم البحّار وحطّم زورقه ؟
يا أنتم أنا أخافكم فما أنتم ؟ حيتان قرش ترعى الأسماك الصّغيرة؟ مناشير يا أنتم من أين جئتم ؟ أمن زمن الأوبئة والجثث ؟ طريقنا إذن ليس واحدا .
أنا يا أنتم جئت من زمن المعابد والقرابين .جئت من زمن الدّروب القصيّة وزمن الصّدى المتناثر في الخلاء .
أغنياتي ليست لكم . لهذا الرّبيع المطلّ من خلف موقده الشّتوي إذا ما سمع الرّبيع نشيدي وعزفي نضا عنه ثوب الشّتاء وخرج عليكم بزينته السّاحرة.
وأنتم يا أنتم إذا ما سمعتم صوتي وأدمتموه وحطّمتم أنغامي . تفضّلون نقيق المستنقعات المسنونة ونعيق الغربان في المقابر المهجورة. صمتي ليس لكم، لهذا الفضاء الورديّ لهذا الفستان الشّفّاف على جسد الأفق . صمتي يا أنتم لهذا الخضمّ المتربّع على عرشه المائي . لهذه الفراشات الحالمة حول المصابيح .
صمتي وصلاتي لهذه الصّخور القديمة ولهذه القمم العائمة في الضّباب .
هذه يا أنتم إذا أصغيت إلى صوت صمتي سجدت له . هكذا علّمها الإله منذ الأزل . أن اسجدي للصّمت يا مخلوقاتي فالصّمت لغتي .
هذه يا أنتم إذا أصاخت لصلاتي سبحت لصلاتي هكذا ألهمها الإله في البدء: سبّحي لي من غير محراب فأنّي أكبرمن كلّ محراب .
أمّا أنتم يا أنتم فماذا فعلتم بصمتي؟ دنّستموه بالقهقهات وكفرتم بصلاتي . جمالكم مصطنع وغناؤكم منكر . تشيحون بوجوهكم عن النّبع الصّافي وتمرّغون أنوفكم في الأوحال .
عجبت لكم تتحدّثون عن الجمال وأنتم تخنقون الورود بأيديكم وتدوسون العشب في طمأنينة ولا تقدّسون فيه الحياة وتخمشون وجه الأرض الجميل بنعالكم القذرة .

دمائيل

بقلم : ولاء الصوّاف
العراق

هكذا ارتأى وهذا ما كان ، من سطوة القلم في نون ، بعض أمر سبق العدم ، فيض كان السرّ قبل الماء ، طواف بكر استبق الحجب وافترش سرادقات الظلّ الممدود ، هالات نورانيّة مستديرة بلطف صمدي تغفو على مدّ أزرق لا موج فيه يحملها في سعي دبيب إلى حيث المشهد العظيم ، تراتيل ملكوتيّة تضفي حياء على الأفق المبين ، مدارات تعصف رحمة وتركن إلى قدرة عانقت مداها ، فألفيا دمائيل .

أقبل دمائيل ..

هذا حجابك العظيم ، هذا عرش صادك ، أقبل .. أرخ .. أمسك صولجان ألقك القائم ، تبادلّ العشق اللّدنيّ فأنت العاشق الفاني والمعشوق الأبدي .

أمضي دمائيل

إلى غياهب المجهول ، أطرق أبواب الصّلصال ، افتح نوافذ العلق ، تلمس الحقيقة بحقّ اليقين ، ارم بها الخطيئة بمدلهمّات الثّياب ، امسخها قشورا في جبين الغضب ، وانظر ... من يحبّك ؟ ومن يبغضك ؟ انظر الأصلاب والتّرائب ... المضغ والعلائق

دمائيل يا سيّد الصّلصال

انظر عمّايفعل الصّلصال ، انظر آباءك وبنيك ، انظر صلصالا يعبث

بالموج، بالتّاريخ، ينحر أباك ، دمانيل من يفديك ؟

من يقرؤك سلام البقاء ؟

من يبكي رقدتك الأولى ؟

من يحيي سابق ذكراك ؟

هذا أبوك الّذي أولدته في الغد من عزائم أمرك ، يمنحك الآن خواتيم عمله ، هذا فداؤك ومنتهى دمك ، سكّين آباءك مرّ على نحره ، فظلّ دمه عاكفا في قبو الأمان لا يأبه لسحر ولا يخشى طوفانا .

دمانيل يا سيّد الرّأفة المختومة بسرّ الأسماء ، من يكفل الرّأفة بعد أن فقدت أباها ؟ من يمنحها سلطان الرّؤيا ؟

دمانيل ... هي ذي رؤياك فصدّق رؤياك ولا تخشى !

جسد الصّلصال مسجّى بأمان مستكين، عرصة النّشور تنتظر القيامة ؟ أم الخطيئة تدور قبل أن تكون ؟ جسده يصفرّ ، نشوة الفوز تكمن في ساقيه، أصابعه تخصف ورقا ، علامته الفارقة ضلع قصير والكلّ في حسبان، من يخشع أوّلا ؟

إنّها النّشأة الأولى وقبلها ألف قائمة.

العين تبصر ، سيّدالرّأفة على سلطان التفرّد محفورا في ذاكرة الرّوح .

دمانيل ألأتفضي إليه ينبأ !

نار السّموم تحتّ الخطى ، رميمه يحمل بكفن،أيّها الجسد المستكين من يمنحك كلمات التّوبة ؟ يهبك مدرار الدّمع وارث الأرض ورعشة السّاجدين، يلبسك بردة السّقم ، يخلع عليك عصا المآرب حتّى تستنشق غبار القبور ، دع أصابعك ترتعش ، امنح شفاهك جدب الأرض ، إنّه الرّقاد ، ريح القفار تبعث القريح في عاريات الأنامل تستوثب الدّم القاني، تعرّي القلوب من أكنّتها، تنتصر للأسماع في نزع أوتارها، ويمتدّ

البصر ، افتح ساقيك لذّة السّعي ، اشرب مل، فمك وهم الخلود فلا سلطان اليوم سوى سلطان الزّوال ، ابصر دمائيل ..

فحولة الصّلصال تحتضن الوديعة وسرّ المحراب مودع في القرار المكين لحظة من الزّمن العبقري تتقلّب فيه الوجوه فتمنح الأرض ضجيج الأحفاد شهبا تتساقط أمما فينبلج الأمان عن صباحات السّكينة ، ندى من زهو الضّباب المتشبّث بأردية شذيّة تعلوهن الصّلصال ، الزّهو يأخذ مأخذه وهو يبصر قوارير الخطيئة وجرار الإثم ونسّاج الخيانة ، أبنا، ذلك الجسد المستكين يخلعون عن أنفسهم عمائم العهود ، يمرغون أنوفهم بخوا، القربان ، يضطجعون تحت وهم الزّلفى حتّى تتأجّج طقوس الهشيم في حسيس اللّظى .

دمائيل ... هي ذي رؤياك فصدّق رؤياك ولا تخشى !

الرّؤيا تنهمر آلا، على مفارق الشّيب ، تنثال عليه أزاهير التنزيل سكك النّاموس توقظ الحكمة في دليل الشّيخ فيمنحه الماضي الغد الآتي ، يمنحه غرس البلاقع وضوء الزّيتون، ظهر ظلّه يفيء ألقا فينبجس النّسك.

أديم زمرّدي يهب الأرض سرّ الحياة ، فيتألّق الموج في خدر البحر وتطفق الرّيح تسدل جفنيها عن سلام مريب تعبث به براثن أبنا، الصّلصال بعدما فقد التّرتيل رخيم صوته.

الأرض حبلى بالوقائع ، الفحولة الطريّة تمنح النّفس عرش الضّلالة وسدّة الإثم، الصّلصال ينثر رماده حتّى تغدو الأرض كومة منه ، بالأمس كان جسد أبيهم يصفرّ واليوم هم كزبد البحر يذهبون جفاء ، عاق أنت يا صلصال ، فليطهّرك الماء ويغمرك الطّوفان حتّى تلفظ الأرض رمادك إلى السّماء .

دمائيل ... هي ذي رؤياك فصدّق رؤياك ولا تخشى !

من يتأبّط اللّوح والمسمار ؟

من يتضرّع بالملكوت وبالشّيب ؟

يبثّ شكواه لمن وهبه الرّؤيا ، فالخلاص .

كثيرة هي السّلالم الّتي تفضي إلى العدم ويرج الأموات يمتلك المزيد من الحذر. لم يعد بوسع الأطواد أن تحمل على كاهلها ما ، التّوبة ، ترنيمة الرّباب تثقل مسامع الرّيح. فضاء اللّحظة يكتم أنفاس الدّهر ، يمنحه حقّ التّلاشي ، يلقمه ضريع العودة ، فينكفئ على اللّوح غير آبه بالطّواف ويعيده زجر الملامح إلى سابق قراره .

سقف الأرض منخور وهي بامتعاض تلفظ أحشاءها ، الملاّح يمنح نفسه حقّ الكلام ، هل من قرار ؟

فيأتيه غصن فيه بركة صمديّة وشيئا مما ترك الأحفاد ، رفات نخل ، طرق مجهولة ، سفوح مخضّبة بدم القمم ، أغماد تشقد عزلة، خوابي مشرنبّة بألوان قزحيّة ، ألسن لا تفقه قول الآخرين ، أبابيل تتشيّث بثلاثيب المشارق والمغارب، الملاّح يرقع سطوة القلم إيّاكم وإحراق رؤياي ، باطن كفّي تحمي أعواد منبري ومابين الأشاجع والرّواجب تكمن العصمة ، رؤيا الملاّح تتخطّى تخوم النّوافذ المرئيّة إلى فضاءات اللّون المتسربلة على الجراح ، اللّوح يبعث في الفأس حريّة التّهشيم ، يبيح له فصل رؤوس التّشنيعة ، يجرّدها من أجسادها من جبروتها من الخوف المبثوث عن هول مقاماتها ، معصم الفتى لا يخشى النّار وهو المحلّى بأساور من خلّة ورؤيا ، رأيت ... فصدّقت فكان الدّم ، دم أبيه يسقى من رعشة السّكّين ، من تلّه ... يدرك المخاض حجر معمّد بدم آت ، على كلّ حناجر يسعى ، من

عمق الأفجاج ... من دفق الأوداج تُمتشق المنائر فتعلن التلبية خضوع الفرد .

صمت هائج يبعثر تراصّ الأجداث يمنح الوادي ظلّه السّاكن قلب الموت

دمائيل ... هي ذي رؤياك فصدّق رؤياك ولا تخشى !

من يستهويه سرّ الماء يلتحف قحف اليتم فيرضعه الموج شيبة السّلطان، حرب على الأثداء يعلنهافم ، جدائل صوته تحملها جمرة الأرطاب ، تبعث بصداها خلف سنين العشب ، لذع الرّمال تسقط أقدام الرّاحل إلى ميراث أبيه، إلى خلوة القنديل المستور عن عمد ، إلى حجّة تنعى كدر الماء المسلوب في غفلة العطش أيّها الرّاعي حججا ثكلى أفلاكا تنوء بحمل مداراتها .

من يسلبك ظلّك الموسّد ظلمة المنفى ؟

يدفئك بنار المؤانسة ولذّة الرّؤيا ، أحملها على عجل وأمسي ، تخطى تخوم الأرض بحروفك ، دعها تتلقف مثالب السّدنة ، تطع أسبابها ، تيجانها ، دع أطواد البحر تهيل كثبان مائها ،

دمائيل ...انصت هذا همس الغرقى !

ابصر ... هذا الجسد آية ... عظمى

ينطق والخطى لم تزل مكبّلة بالطّفولة ، يحمل عن خوف وضجيج وخلفه أعواد تدقّ، أمسى الزّيتون يملك جبلا والميزان يمتلئ جدلا ، هيكل الصّلصال يترنّح غبطة، يا أيّها المحمول من غد ، من مجد الكلمات كنت، من يهب الموتى لذّة الموت مرّتين ، يشير إلى الأكناف المخرومة ، إلى سفر آحتوى النّقطة، يشير إليك ... دمائيل ، دمه بعض دمك ، فآطلق رؤياك عبر نوافذ عينيه ، أسبغ رؤياك فجر دمه ،دمه يحمل ثأره فآحمل دم..ا..ئيل ثأره وصدق رؤياك ولا تخشى .

قصة قصيرة

* الرماد *

بقلم : شدري معمر علي
- الجزائـــر -

. إنس الماضي يا أحمد ، تحرّر من قيوده ، إبحث وستجد من يعوضك عن حبك الأول الرّاحل هي نستك فكيف تعيش على ذكرى كاذبة ، إنّك توهم نفسك بحبّ عظيم ، بأنّك ستعيش على الإخلاص والوفاء الى أن يطويك الرّدى ...

لا يا أحمد ... حطّم قصور ذلك الحبّ الآفل ..

الذي نساك ..إنسه .. إمح صورته من قلبك ..

وإنفجرت ليلى باكية ..

كم أنت قاسي يا أحمد

إرحم هذاالمخلوق الضعيف ، إعطه بعض الإهتمام

كأنّها تقول لك : أنا حبّك الذي ضاع ، سأعوّضك عن كلّ شيء ، سأمنحك صدق مشاعري .. فقط إفتح قلبك لنسمات حبّي ، لا تحاول أن تتجاهلني .. لا تعذّبني باللاّمبالاة ..

ليلى أملك الذي ضاع فلم لا تتشبّث به ؛

هي زورقك الذي تعبر به بحر الحياة الى حيث الأمان والإستقرار ..

نظراتها تشعّ بالصدق ، صفاء عجيب يملأ وجهها . فيجعلها كملاك سماوي . يزيدها بهاءا وجمالاً .

عندما قال لك العمّ رابح : لم لا تتزوّج ؟

صمت هنيهة ... ثمّ سألك مرّة أخرى ألم تجد فتاة تناسبك ؟

إبتسمت وقلت له :

" كاين " لكنّني غير مستعد نفسيًا وماديًا

عندما أجبته كانت صورة ليلى في ذهنك ، طيفها يتراقص بمخيّلتك ..

جسمها الرّشيق ، وجهها النّاصع البياض ، إبتسامتها العريضة ، نظراتها المعبّرة..

سرحت برهة في عالم الخيالات ..

وسرعان ما أخرجك العم رابح من بحر التّأملات ..

يا بني :

الزواج في وقتنا هذا صار صعبا ، القليل من يقدر عليه

في الزمن الماضي كان الواحد منّا يتزوّج دون هذه التكاليف الباهضة ..

كان كلّ شيء ميسّر للشاب ولم تكن المرأة سلعة تباع

صدقت يا " عم رابح " غلاء المهور وهذه التعقيدات الماديّة هيّ التي جعلت شبابنا يعزف عن الزواج فأصبح المجتمع يعاني من كثرة الفتايات العانسات (أكثر من مليون فتاة عانس)

وتأوّه العم رابح من أعماقه ..

آه يا بنيّ : الحياة تغيّرت ، ذهبت البركة مع الذين رحلوا ..

إنّنا نعيش زمن الخداع والزيف والمظاهر الكاذبة ..

أين حلاوة الأيّام في ظل البساطة ؟

كنّا لانملك شيئا من متاع الدنيا وزخرفها ،لكنّنا نملك قلوبا كبيرة مملوءة بالحبّ والوئام قلوبنا كانت تتّسع الدنيا .

أتذكّر يا بنيّ : أثناء الثورة التحريريّة الكبرى كنّا نقتسم الخبزة مع بعض ، نأكل الحشيش لم تكن هذه الأنانيّة وضيق الصدور ..

كان كلّ فرد منّا يفكّر في الآخر نتقاسم الحلو والمرّ .

أنظر يا بنيَ الآن ماذا تجد ؟

... قلويا عمّها الحقد والضغينة ، كلّ واحد يفكّر في نفسه لا يهمّه جاره ولا قريبه وقطع " العمّ رابح " كلامه ... أمسك سيجارة من نوع أفراز وضعها بين شفتيه وبدأ يدخّن في صمت ..

كنت تتأمّله ، تتأمّل سحنة وجهه التي لفحتها شمس الزّمن ..

تلك الأخاديد العميقة التي حفرتها مخالب السنين الصعاب ، تلك النظرات الذّابلة وكأنّها نظرات بائس يجثو على ركبتيه مترجيا العطف والرّحمة ..

كانت السيجارة البيضاء تحترق تارة بين أصبعيه وتارة بين شفتيه .. يحدّق في الدخان المنتشر في الفضاء كان يرى هذا العمر المحترق يتحوّل إلى رماد تذوره الرّياح إلى عوالم المجهول .

« يا عمّ رابح » أنت لحن منسي في سمفونية الوجود تتسع جراحاتك يوما بعد يوم ، إنسان يعيش على ذكرى الذين خانوا وغدروا ، الذين أعطيتهم صدق المشاعر وبذل الأحاسيس ووضعوا في دربك أشواك النسيان ..

لكنّها هي الشمعة الوحيدة التي تضيء في دهاليز الذكريات

« فاطمة » كأنّك تترجاها لماذا ترحل قبلك ؟

لماذا يطويها الرّدى بأجنحته القاسية :

كنت أقرأ في عينيك ـ يا عمّ رابح ـ كلّ شيء .

تلك الدمعة الهاربة قصيدة الذكرى الموغلة في الجراح

« فاطمة » هي السّلوى بعدما ضاع الأمل ..

قلت لك ذات خريف : يا « عم رابح » عندما نفقد من نحب ، من يملؤون حياتنا سعادة وبهجة لحظتئذ نتشبّث بالأمل ..

نوع من الكذب على الذات ، فالأمل لا يرجع لنا الأحبّة ..
لكن هناك « السلوى » أن نسلي أنفسنا بالنسيان ، أن نشغلها
بأشياء أخرى وقلت لي :
إنّي أتسلّى بالعذاب ..
يالها من كلمة عظمة .. وكأنّها لفيلسوف حكيم ..
تتسلّى بالعذاب !
وقلت لك يل عمّ رابح :
النفوس العظيمة تفقه حقيقة العذاب ..
العذاب هو صنو العظمة والإبداع ..
عندما نتعذّب نعرف قيمة الانسانية ، تتدفق مشاعرنا كنهر صاف ينصبّ
في بحرها العظيم ..
إنّ شلال الحب يا « عمّ رابح » لا ينحدر إلاّ من النفوس المتعذبة
والقلوب التي تتوسد جمرات لاهبة ..
يا بنيّ حتّى العذاب يختلف ..
الفرق بين أن نتعذّب على الذين أعطيناهم كلّ شي ء وأعطونا الغدر
والنكران والذين أحببناهم فمنحونا أخلص المشاعر وعاشوا أوفياء
لذكريات الحبّ
العذاب الأوّل يا بنيّ .. عذاب الندم والحسرة
الندم على إعطاء تلك المشاعر لمن لا يستحقونها ..
والعذاب الثاني عذاب الوفاء ،، إنّه عربون الاخلاص للّذين شاركونا
حياتنا بحلوها ومرّها ..
كان « العم رابح » يتكلّم بحسرة وتفجع ..
وفي حديثه تتراقص أشجان الماضي والحاضر ..

الماضي المضطرب بالذكريات الجميلة والمرّة ..
والحاضر الذي يحمل الغموض والابهام
<< أين أنت يا عمْ رابح .. أين موقعك من الحياة ؟
آه إنّني إدري كما تدري .. أنّ الحياة لفظتك مثلما تلفظ أعقاب السجائر ..
كلّ المدن المنسية رفضتك ، أغلقت في وجهك أبوابها الحديدية فاخترت أنت هجرة المكان لتحلّق في فضاءات ذلك الماضي .. لتسبح في محيطاته المدلهمة ..
تارة تجد فيه الرّاحة والسلوى وتارة تعصف بك الرّياح القويّة فتقذفك إلى جزر القهر والألم .
الفرق بيني وبينك يا عمّ رابح .. أنت ماضيك فيه أشياء جميلة تستحق أن ترجع اليها ، أن تحطّ في موانئها لتنعم بالأمن والإستقرار ..
أمّا أنا فماضيّ سلسلة من الجراحات كلّما أبحرت فيه سفني إلاّ وعادت محطّمة أنت الذي قلت لي يا " عم رابح " مصبّرا :
مهما كان ماضينا ينبغي أن نأخذ منه العبر التي تضيء حاضرنا فننطلق الى غد مشرق ..
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
وقلت لك : لا أستطيع ..
أنا إنسان أعيش على ذكرى الماضي وأستيقظ على ألحانه الحزينة .
لا يا بنيّ : كثرة التفكير في الماضي تغرقك في بحر الهموم وتقودك الى حافة اليأس وأكبر اليأس أن تفقد الرّغبة في الحياة .. في الإنطلاقة الواعدة الى تحقيق آمالك العظام فتنتحر كما إنتحر أصدقائك الشعراء ..
وطبعت إبتسامة ... وقلت له : لست يائسا لهذه الدرجة
فالماضي بالنّسبة لي منبع الإلهام ، هو البحر الذي أغترف منه وأستخرج من أعماقه اللآلىء والصدف ..
كلّ ذكرى مريرة هيّ موضوع قصّة أدبيّة شيّقة أو خاطرة مؤثّرة ..
الألم بالنسبة للكاتب حافز للإبداع .. الألم العظيم يعطينا فنّا عظيما .

بعد المهرجان

اعداد : حمادي العكرمي

أطفأ مهرجان المدينة بسليانة شمعته الثانية على اثر انتهاء فعاليات الدورة المنعقدة من 23 ديسمبر 99 الى 7 جانفي 2000 ، وقد جاءت هذه الدورة الثانية



تماما كسابقتها غنية المحتوى ، متنوعة الفقرات مكنت جمهور مدينة سليانة من سهرات ممتعة ولقاءات رمضانية مؤنسة بقيت بالبال .

عهدت المندوبية الجهوية للثقافة منظمة هذا المهرجـــان بافتتاح دورته الثانية الى الفنان القدير نور الدين الباجي الذي احيا حفلا موسيقيا رائعـا امتـع


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجمهور الغفير الحاضر بانغام راقية و صوت حسن وتلـــى حفل الافتتـــاح هذا عرضا مسرحيا متميزا هو الآخر قدمه الثنائي المنجي بن حفصية و نعيمة الجـاني اللذان جعلا من مسرحية "قراني مرتاح" قبلة لجمهور لم يفـرط في الفرصة على الرغم من قساوة البرد ويتواصل مسلسل العروض الفنية البارزة ليكون الموعـد في هذه المرة مع أبطال الفكاهة ببلادنا في عملهم "ضحكولوجيا" الذي استقطب عددا هائلا من الجمهور الباحث عن المتعة و الترفيـــه .

مثلت هذه العروض أهم محطات البرنامج المنجز خـــلال الدورة الثانية لمهرجان المدينة بسليانـــة الى جانب العديد من العـــروض المتميزة الاخـــرى كالعرضين السينمائيـــين: " الزعيم" و "صعيدي في الجامعة الامريكية" وجولة "أوركسترا العندليب" بكـــل دور الشباب والثقافة بالجهة الى جانب عرض الاختتام الذي تكفلت به فرقة" سلامية سيدي حمادة "و"الفرقة القادرية بالمتلين" وانتظام معرض في فن الرسم على البلور للرسامة منية الرقيق .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد تميزت هذه الدورة بإقبال جماهيري كبير علـــى مختلف عروضـــها ترجم بوضوح تشبث اهالي مدينة سليانة بمهرجان مدينتهم وادراجه كعادة مـــن عاداتهم الرمضانية الطيبة.